

على هامش التاريخ والأدب

دراسة أدبية تحليلية

د. محمد فتحي عبدالعال



الطبعة الأولى

2021م- 1442هـ

ديوان العرب

للنشر و التوزيع

جمهورية مصر العربية - بورسعيد



عنـــوان الكتاب: على هامش التاريخ والأدب

اســـم المـؤلف: د. محمد فتحي عبدالعال

التصنيف الأدبي: دراسة أدبية تحليلية

رقـم الإيـــداع: 3913 / 2021

الترقيــم الدولي: 978 – 977 - 998 - 000 - 3



تـصميم الغلاف: م. شيماء منير

التدقيـق اللغوي: د. هبة ماردين

التنسيق الداخلي: محمد وجيـــه

رقـــــم الطبـعـة: الطبعة الأولى

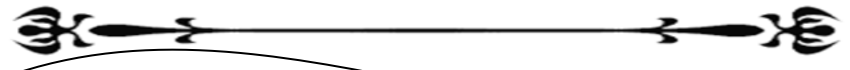
المديـــــر العام: د. فادية محمد هندومة



دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر - بورسعيد

جوال: 00201211132879

البريد الإلكتروني: mohamedhamdy217217@gmail.com







على هامش التاريخ والأدب

دراسة أدبية تحليلية

د. محمد فتحي عبدالعال

2021




بسم الله الرحمن الرحيم



إهداء

إلى الضوء الذي يساورني في كل وقت.. إلى غمار الورد المتدفق بخطاها.. أمي الغالية مع فيض محبتي...

إلى من زرع في روحي التحدي لأكون سماء من إنسانية..

من أراه فتورق صحرائي..

جبلي وسندي.. أبي مع فائق الاحترام...

أهديكما كتابي وعطر الانتماء...

د. محمد فتحي عبدالعال

****

مقدمة

إن التاريخ أسمى ضروب المعرفة فهو بذور الماضي التليد وغرس الحاضر المشرق وثمار المستقبل اليانعة والأدب، حالة تحلق بالنفس وتستوطن الوجدان وتبعث الروح في جذور التاريخ طلبا للحكمة فيما يأتي العلم محلقا بينهما فيزهر العقل الذي يستحث كل الحواس قبل أن يصدر حكمه فيجتث الخبيث من الطيب ويخرج الثمين من الرث.

تزاوج الثلاثة في عقد فريد لا انفصام له تنبثق عنه حكايات تتشكل فيها أبعاد التأريخ وتتشابك خلالها خيوط العلم ويكسوها الأدب برداء الرقة والحياة فتغدو الوقائع المجردة حدثا ذا معنى نعيد فيه قراءة النصوص دون تحيز أو محاباة وهذا من شأنه أن يحرك عقل القارئ للتفكر والتدبر والتماس الفائدة.

ومن هنا كان القسم الأول من الكتاب في ثوب الحكايات والتي حرصت على تنوعها وطرافتها من حيث التناول والتحليل أما القسم الثاني فجاء لمناقشة قضايا أدبية هامة منها غياب الدين عن المشهد الروائي المعاصر وضرورة تطوير اللغة العربية وفي مقدمتها النحو.

د. محمد فتحي عبد العال




القسم الأول
الحكايات



الحكاية الأولى

حكاية الست صفية

مقدمة

المرأة النكدية مصطلحٌ طافَ بشهرته مشارق الأرض ومغاربها. البعض يتفق عليه والبعض يرفضه، لكن ثمة دلائل من العلم تؤيده ففي دراسة أجراها الباحثون في عيادات **Amen** بولاية كاليفورنيا ونشرها موقع **Medical news today** في عام **2017** أظهرت زيادة نشاط الدماغ بين النساء بالمقارنة بالرجال في قشرة الفص الجبهي، المرتبطة بالنبض وصنع القرار وفي مناطق الحواف المرتبطة بالقلق والمزاج، وزيادة النشاط في هذه المناطق يفسر أعراض الاكتئاب الأكثر شيوعاً لدى النساء والنكد من انعكاساته.

تترجم هذه الحقيقة دراسة بريطانية أخرى عام **2020** نشرت على موقع **Mystery32** شملت ثلاثة آلاف شخصاً خلصت إلى أن المرأة تقضي ما يربو على ثمانية آلاف دقيقة سنوياً في التنغيص على زوجها فيما يخص شؤون المنزل والأبناء.

لم تغب هذه الظاهرة عن تاريخنا



ولنا في التاريخ حكايات وحكايات ومنها حكاية الست صفية.

الحب الأول:

-"عزيزتي... لا تمضي لحظة ولا طرفة عين إلا وأذكرك فيتجلى في مرآة خاطري، بل أمام بصيرتي وبصري خيالك مجسماً فأراك بكل ما أودع الله فيك من محاسن وآيات جمال باهرات... كأني أراك حقاً وأتلذذ بمد يدك. بل كأني أسمعك تقولين لي، كما كنت تقولين ارحمني ارحمني... فأذوب لوعة وأسى وأقول من يرحمني وأنا عاشق الجمال والحبّ والشرف والمجد الصميم. أسأل الله أن يقرب لي أيام لقائك وأن يمتعني بك قرينة محبوبة، محبة سعيدة بي وسعيداً بك... وأقبل الآن وجنتيك وثغرك وأرشف ريقك الخمري السكري وأسلم على والدتك ملايين الملايين".

-"إلى مالك العصفورة المتصرف فيها والحاكم عليها تقول العصفورة الطائعة الخاضعة لمالكها وسلطانها الآخذ بها الممتزج بدمها التي هي في مملكته ترتع في روضة الفردوس حباً وهياماً، بهذا الهوى والجوى معجبة مفتخرة به وبوفائها وإخلاصها وطاعتها على أشرف عرش هي عليه في أطهر بيت طاهر كالبيت الحرام المقدس. أيها الملك الجليل قد تلقيت رسالتك كما تلقت هاجر ماء زمزم بعد ظمأ كاد يهلكها، ففاض على هذه الرسالة، كما يفيض عليّ كل يوم في نفحات الحبّ والشرف ما يجعلني ألهج بذكرك وأسبحك كتسبيح الملائكة للمولى عز وجل".

رسالتان ترجعان إلى بدايات القرن المنصرم لخصا الوهج واللهفة وحرارة الشوق بواحدة من أشهر قصص الحب في العصر الحديث، وأكثرها إثارة للجدل. دائماً ما تكون البدايات مفروشة بالورود أما النهايات فشيء آخر.
أبطال حكايتنا من نجوم المجتمع المصري؛ فصاحب الرسالة الأولى هو الشيخ علي يوسف، رجل متزوج على مشارف الأربعين وصحفي الخديوي عباس حلمي الثاني، خديوي مصر والمقرب من دوائر النفوذ حول السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، والرجل العصامي الذي خرج من ضيق العيش بقريته إلى رحابة الحياة وبحبوحة العيش بالقاهرة، إنه اليوم ملء الأسماع في عالم الصحافة، كونه مالك صحيفة المؤيد إحدى أشهر الصحف الوطنية في مصر، والتي بلغت لُبَّ الشباب بشهادة الخديو عباس في مذكراته "عهدي" علاوة على ذلك؛ فقد أسس الشيخ حزب الإصلاح عام **1906** على أسس دستورية لينخرط في عالم السياسة من كافة اتجاهاته.
أما صاحبة الرسالة الثانية، فهي صفية ابنة الأربعة عشر ربيعاً صغرى بنات الشيخ عبد الخالق السادات، شيخ الطريقة الوفائية وحفيدة أبي الأنوار السادات الذي عاصر الحملة الفرنسية على مصر، وحكم محمد علي باشا لذا فهي تمثل طبقة الثراء والنسب والوجاهة الاجتماعية.
كانت بداية قصة الحبّ بين الشيخ علي وصفية عبر اتصال هاتفي بجريدة المؤيد تسأل فيه صفية عمّا إذا ثبت هلال رمضان أم لا؟ وكان مجيبها الشيخ



علي نفسه والذي كان يقضي جمّ وقته في الجريدة؛ فجمع الحبّ بين فؤاديهما من كلمات معدودات، وتأججت المشاعر، ومن ثم تحولت إلى خطابات ملتهبة بين الحبيبين، كالتي عرضناها وكانت تحملها صديقتان إنجليزيتان مؤتمنتان من العاشقين.

لماذا؟

لا ينبغي لنا أن نسرف في نعت هذه العلاقة بالعشق والحبّ الأفلاطوني المنزه؛ فلا يخلو الحبّ من حسابات ومطامع، فهكذا الحياة فالشيخ علي يوسف رجل عركته الحياة ومثال للإعلامي المتلون بحسابات عصره وبمسميات عصرنا؛ فهو مع الخديوي في الخصومة والمصالحة مع الإنجليز فصب عليهم جام ثورته وطالبهم بالجلاء، حينما كان الخديوي عباس حلمي الثاني على غير وفاق معهم، ثم عاد ومدحهم وكأن شيئاً لم يكن؛ فوصف لوندرة "لندن" بكعبة السياسيين المصريين حينما حدث الوفاق بين الخديوي وغورست المعتمد البريطاني. بالطبع العلاقة بالقصر والتحولات المتناقضة تبعاً للمصالح تولد خصوم كثر، وليس من السهل أن يتمادى في علاقة كهذه مع فتاة في سن المراهقة ومن عمر بناته، دون حسابات دقيقة لأوجه النفع والضرر وتغليب إحداها، وبالطبع كان النفع أعظم فالفتاة في مقتبل العمر وواجهة اجتماعية براقة بحكم تاريخ عائلتها، مما يضيف إليه الكثير.

أما الفتاة الصغيرة فيمكن تفسير انجذابها بما تحدثت به دراسة أجراها باحثون بجامعة "تشارلز" التشيكية من أن النساء يَمِلْنَ إلى الارتباط عاطفيًّا برجال يشبهون آباءهن في الشكل والشخصية، وأن النساء اللاتي نشأن في كنف آباء كبار في العمر يمِلنَ إلى الارتباط برجال كبار في السن. إذاً فمثل هذه العلاقات من طرف الإناث الصغيرات ينشدن فيها قدراً كبيراً من المثالية، وتحطم هذه المثالية المنشودة أو غيابها لدى الطرف الآخر ربما يكون سبباً في تكدر الصورة وتغير المشاعر لدى صفية، كما سنرى فيما بعد.

الأب آخر من يعلم:

كشأن أي رجل وامرأة بهذه المكانة وفي هذا الزمن الكلاسيكي تعاهدا على الحبّ؛ فلابد وأن يكون الزواج تتويجاً للعلاقة ونهاية طبيعية لها. تقدم الشيخ علي يوسف للزواج من صفية وقدمَ المهرَ والهدايا، والواضح أن الشيخ عبد الخالق قبِلَ مرغماً وعلى مضضٍ في البداية، حتى لا يكسر قلب ابنته الصغرى المدللة، وهو ما يتضح من مماطلته في تحديد موعد الزفاف على الرغم من مرور وقت طويل على الخطبة.

ضاق الشيخ علي بالأمر فاتفق مع صديقه محمد توفيق البكري نقيب الأشراف وزوج ابنة الشيخ عبد الخالق في الوقت ذاته على وضع الشيخ عبد

الخالق أمام الأمر الواقع، وتزويج صفية من الشيخ علي في بيته وبحضور لفيف من العلماء، وتولى الوكالة عن صفية الشيخ البارز حسن السقا.
استغل الإنجليز الذين ناصبهم الشيخ علي العداء الطويل تعضيداً لسياسة الخديوي المناوئة للإنجليز في البداية كما أشرنا آنفاً؛ فسارعت صحيفة المقطم لسان حال الاحتلال بنشر الخبر في يوم الجمعة **15** يوليو **1904.**
جُنَّ جنون الشيخ عبد الخالق حينما قرأ خبر زواج ابنته دون علمه، وتقدم ببلاغ يتهم علي يوسف بالتغرير بابنته لكن البلاغ حفظ لأنها ليست قاصراً، كما نشر بياناً في اللواء والأهرام يؤكد فيه أن الزيجة قد وقعت دون رضاه.

المحاكمة:
صمم الشيخ السادات على التفريق بين الزوجين؛ فرفع دعوى أمام المحكمة الشرعية لتدور واحدة من أطرف المحاكمات في تاريخ مصر.
حاول الشيخ عبد الخالق الدفع بعدم الكفاءة بين الزوجين بشتى الطرق كسبيل للتفريق بينهما مستدلاً بمذهب الإمام أبو حنيفة في وجوب الكفاءة بين الزوجين، واستشهد على عدم تحقق هذا الشرط بثلاثة طرق بشهادة الشهود بأن أهل القرى والأمصال في هذه الديار أعاجم وأن الشيخ علي من قرية بالصعيد تسمى بلصفورة أهلها كلهم أعاجم، والجد الرابع لعلي

يوسف كان كتابياً واعتنق الإسلام وهو ما لا يتناسب مع شرف انتساب عائلة الشيخ السادات إلى نسل الحسين رضي الله عنه، إضافة إلى وضاعة ودناءة مهنة الشيخ علي ألا وهي الصحافة فهي الجاسوسية العامة والمعدة للإشاعة وكشف الأسرار وقد نهى الله عن التجسس بقوله تعالى: "وَلَا تَجَسَّسُوا"!!

حاول نقيب الأشراف بسوهاج تعضيد موقف الشيخ علي وقرر أن الشيخ علي يوسف من الأشراف وينتهي نسبه إلى الحسين. أما دفاع الشيخ علي فقد حاول النيل من نسب الشيخ عبد الخالق، وأنه من نسل إحدى الجواري مستشهداً بتاريخ الجبرتي.

الطريف هو الطريقة الثالثة التي قدمها محامي الشيخ السادات للتأكيد على عدم الكفاءة وهي جهل الشيخ علي يوسف؛ فاستعرض سقطات من كتابات الشيخ بجريدته المؤيد منها قوله: إن الله شرف القارة الأفريقية بالبيت الحرام والصواب أنه بآسيا مستدلاً من ذلك أن الشيخ لا يعرف مواقع القارات كما استعرض خطأ آخر وهو تسميته لقلعة صلاح الدين الأيوبي بالقلعة المعزية نسبة للمعز لدين الفاطمي!! وأن البيت الشعري لأبي نواس: "وإذا المطي بنا بلغن محمداً... فظهورهن على الرجال حرامُ" كان في مدح محمد الأمين ابن هارون الرشيد، وليس في مدح النبي صلى الله عليه وسلم كما كتب الشيخ علي في جريدته.

حكم القاضي الشيخ أبو خطوة بفسخ عقد الزواج وكان الحكم قاسياً لتضمنه عبارات أليمة نالت من كرامة الشيخ علي يوسف وذكرته بذل الفقر القديم وهي: "إن فقره في بدئه وإن زال عنه الآن باكتساب الغنى إلا أن عاره لا يزول عنه"! استأنف الشيخ علي الحكم لكنه مُني بحكمٍ مخيبٍ لآماله كسابقه. فبدأ يحرك الوساطات مع الشيخ السادات حتى وافق على الزواج في النهاية بعقدٍ جديدٍ.

كانت حادثة الزوجية أو عام الكفء كما أطلق عليه خصومه شديد الوقع على نفس الشيخ علي الذي أحس بالإهانة الشديدة وانكسار خاطره لولا أن جاءه إنعام السلطان عبد الحميد عليه بنوطي الامتياز الذهبي والفضي وهما من أرفع أنواط الدولة العلية في سبتمبر عام **1904** فانفرجت أساريره.

ردود الأفعال حول القضية:

لم يحدث في تاريخ مصر أن اتفقت القوى المحافظة والليبرالية على شيء مثلما حدث في قضية الشيخ علي يوسف، وكأن جلهم قد اتفقوا على تركه لأقداره والشماتة به.

لقد كشفت القضية عن فجوة كبيرة بين الشيخ ومعاصريه، أفضت إلى خصومات سياسية ومنافسات شرسة، كان الوقت قد حان لتصفيتها ورد الصاع صاعين بين الشيخ وخصومه مع تصاعد وتيرة أحداث القضية.

محمد المويلحي صاحب المقامات الشهيرة ومنها حديث عيسى بن هشام نشر بيتين للشاعر الأحوص، حين زوَّجَ ابنتَه من شخص لا نسبَ له اسمه، مطر:

ســــلامُ الله يا مطرٌ عليها ...... وليس عليك يا مطرُ السلامُ

فطلقها، فلستَ لها بكفْءٍ ...... وإلاّ يَعلُ مفرِقَك الحُســامُ

ولم يكتفِ بذلك بل نشر عدداً من المقالات في مجلة مصباح الشرق تحت عنوان عام الكفء وذلك انتقاماً من الشيخ علي يوسف لسخريته منه حينما اعتدى عليه أحد الشباب بلطمة فخصص علي يوسف للشعراء صفحة على المؤيد أسماها عام الكف للنيل من المويلحي والسخرية منه.

مصطفى كامل الزعيم الذي أيد الخديوي عباس حلمي الثاني، وكان أحد أذرعه في الدعوة للاستقلال في البداية كان مناصباً العداء للشيخ علي يوسف على طول الخط وقد تبنى في صحيفته اللواء الموقف الرافض لفعلة الشيخ، بل وكان هذا الموقف سبباً في الجفاء والقطيعة بين الخديوي المعاضد للشيخ في قضيته ومصطفى كامل الذي رفض انحياز الخديوي للشيخ كما ورد في مذكرات شفيق باشا.

أما محمد بك أبو شادي صاحب جريدة "الظاهر" والخصم اللدود للشيخ علي فخصص للشعراء بابا على صفحات جريدته سماه "عام الكف" للقدح فيه وتجريحه.

ونظم حافظ إبراهيم قصيدة قال فيها:

وقالوا المؤيد في غمرة ... رماه بها الطمع الأشعبي

دعاه الغرام بسن الكهول ... فجن جنوناً ببنت النبي

فضجَّ لها العرش والحاملوه ... وضجَّ لها القبر في يثرب

ونادى رجال بإسقاطه ... وقالوا تلون في المشرب

وعدوا عليه من السيئات... ألوفاً تدور مع الأحقب

وقالوا لصيق ببيت الرسول... أغار على النسب الأنجب

وزكى أبو خطوة قولهم ... بحكم أحد من المضرب

وعن إنعام السلطان عليه يقول حافظ:

وما للخليفة أسدى إليه ... وساماً يليق بصدر الأبي

فيا أمة ضاق عن وصفها ... جنان المفوه والأخطب

تضيع الحقيقة ما بيننا ... ويصلي البريء مع المذنب

أما قاسم أمين الداعي لتحرير المرأة فالتزم الحياد في القضية على الرغم من أن الشيخ علي قد نشر كتابه تحرير المرأة على صفحات المؤيد.



نكد صفية:

كفاح طويل وصراع مرير تكلل بالزواج أخيراً لابد أن تنضح هذه النهاية بالسعادة والهناء فيما هو آتٍ، لكن حال بطلينا كان على النقيض.

أصبحت صفية المرأة النكدية التي لا تتوقف عن معايرة زوجها بالفارق الاجتماعي بينهما، حتى لزم عادته القديمة في البقاء بمكتبه بالجريدة طوال الوقت.

وحتى يستريح من لسان صفية الذي لا يرحم، بذلَ مساعي دؤوبة في الالتحاق بالأشراف؛ ليقترب من نسبها وبالفعل أسند إليه الخديوي عباس مشيخة السجادة الوفائية عام **1912**، حتى عاجله القدر بعدها بعام تاركاً صفية أرملة بالعشرينات من عمرها.

الحب الثاني:

قديماً قال تشارلز داروين: أن الموسيقى من الهدايا الأكثر غموضاً التي قدمت للإنسانية ومؤخراً ذهبت دراسة قام بها باحثون من جامعتي فيينا وانزبروك بالنمسا، ونشرت في مجلة بلوس وان في **2017**، من أن النساء أكثر انجذاباً للرجال ذوي القدرات الموسيقية، وقد يكون هذا ما حدث مع صفية.



في سن الثالثة والثلاثين عادت صفية لتفكر في الزواج ولكن في هذه المرة من ممثل غنائي ومشخصاتي بتسمية هذا الزمان هو زكي عكاشة.

كان زكي عكاشة واحداً من أربعة إخوة شكلوا فرقة أولاد عكاشة وأصبحوا من رواد المسرح الغنائي في بدايات القرن الماضي، بدعم من رجل الاقتصاد طلعت حرب باشا الذي أنشأ شركة ترقية التمثيل العربي للعمل على مسرح حديقة الأزبكية.

لا يعرف على وجه التحديد تفاصيل اللقاء الأول بين صفية وزكي ولكن يمكن تخمين ملابساته من مراجعة نصوص المسرحيات التي عرضتها الفرقة ونتوقف عند مسرحية "هدى" والتي عرضت في أول يناير عام ١٩٢١ وشارك فيها زكي عكاشة. كانت المسرحية تدور في سياق أسطوري غنائي حول حب الفتاة هدى لرضا المصري، وتمردها على الزواج من ملك الجان فينتقم منها وصاحباتها ويحولهم إلى تماثيل حجرية، لكن رضا يهرب ثم يعود ومعه الحجاب والطلسم الذي يحول ملك الجان إلى تمثال حجري، ويفك أسر هدى وتنتهي المسرحية بزواج هدى ورضا المصرى. قصة كهذه تشبه ما عانته صفية في حبها الأول كانت كفيلة بدغدغة مشاعرها وإثارة الشجون بداخلها ومع التجسيد الموسيقي للقصة تقترب القصة وبطلها من قلب صفية ربما هذا ما جرى.

محاكمة من نوع جديد:

النية في الزواج من زكي جعلت صفية عرضة للهجوم عليها مرة أخرى ولكن ليس من أبيها كما في المرة السابقة، بل من الزعيم سعد زغلول الذي رأى في الزيجة نكراناً لذكرى زوجها الراحل تبعاً لرواية الكاتب الصحفي مصطفى أمين في مذكراته "من واحد لعشرة". بدأت معركة بطلاتها من التيار الليبرالي النسائي ضد سعد زغلول وهن: روز اليوسف ونبوية موسى ومنيرة ثابت، وكيلت الاتهامات ضد سعد بازدراء مهنة المشخصاتي تارة وبرغبته في احتذاء الأرامل في مصر بالهندوسيات في وجوب حرقهن طوعاً أو كرهاً مع أزواجهن الراحلين تارة أخرى أما منيرة ثابت فقد اتهمت سعد بعدم العدالة فيما يفترض وفاء المرأة لزوجها بعد الموت بعدم الزواج مرة أخرى لا يجد غضاضة في تعدد زيجات الرجل.

لا نعرف على وجه اليقين في حدود ما كتب عن القصة إذا كانت هذه الزيجة قد تمت بالفعل أم لا، إلا أن قصة الست صفية على تنوع فصولها وامتداد فتراتها الزمنية كشفت كثيراً من عورات المجتمع المصري وصراعات أقطابه ورموزه.

****



الحكاية الثانية

رائدة التحرر

مقدمة:

يكفي أن نطرح سؤالاً من ثلاث كلمات، من هي رائدة التحرر النسائي؟ لنجد الإجابة حاضرة في أذهان المستمعين وملء الأفواه إنها هدى شعراوي في قلب المجتمع المحافظ:

فتاة أصولها صعيدية من الطبقات الثرية فوالدها محمد سلطان باشا رئيس مجلس النواب في عهد الخديوي توفيق.

وصفه بلنت في كتابه "التاريخ السري لاحتلال إنجلترا لمصر" بملك الوجه القبلي بين كبار الملّاك، فكان ذا ثروة واسعة وجاه عريض.

كان الأب في البداية معاضداً لعرابي في ثورته، ثم انقلب عليه وانضم إلى معسكر الخديوي توفيق، وبذل جهوداً كبيرة في نصرته، مما مهد للاحتلال البريطاني لمصر وقد أنعم عليه الخديوي توفيق بالوسام المجيدي الأول ومكافأة عشرة آلاف جنيهاً مصرياً، وهذا ما جعله دائماً موضع لاتهام النخب الوطنية له بالخيانة.

هذه هي الرواية التي نعرفها جميعاً من كتب التاريخ لكن دائماً تطلق الأوصاف والتهم في تاريخنا وتغيب المبررات عن هذا التحول. هنا الابنة

تقدم مبرراً منطقياً لو صح مأخوذاً من مقال لقليني باشا فهمي بجريدة المقطم عام ١٩٢٣، يروي فيه شهادة تحتاج إلى مزيد من الدراسة لانفراده بها من أن عرابي ورفاقه من رجال الجيش قد طالبوا سلطان باشا بعقد جلسة برلمانية عاجلة لعزل الخديوي توفيق! فكان تساؤل سلطان لعرابي مشروعاً وحكيماً ومن يخلف الخديوي؟ هنا دبَّ الخلاف بين رجال عرابي من الجيش وظهر الصراع بينهم لدرجة اقتراح أحدهم بأن يكون لكل مديرية خديوي يتولاها واحد منهم.

هنا قال سلطان باشا: "يحسن بالجيش المصري أن يقف عند هذا الحد لأن الأجانب قلقون جداً من العسكرية الدائمة" وكان هذا هو نقطة الخلاف وبداية لاتهام العرابيين لسلطان باشا بالخيانة!!

تختلف هذه الرواية مع الرواية الشهيرة من أن عرابي ورجاله كان في نيتهم عزل الخديوي توفيق لكن كان البديل هو تعيين البرنس حليم المقيم بالاستانة والمدعوم بقوة من الباب العالي، ولكن عوامل كثيرة أجهضت هذا السيناريو أبرزها الرفض البريطاني.

بين قصتين:

وأياً كان الصحيح من الروايتين فلو صحت الرواية الشهيرة فمبرر سلطان باشا في التحول من العرابيين إلى الخديوي يبدو مفهوماً وهو عداؤه للباب



العالي وخشيته من عودة مصر إلى حظيرة النفوذ العثماني وهي مخاوف يشاركه فيها الكثير من معاصريه.

ولو صحت القصة التي روتها هدى شعراوي على لسان قليني باشا؛ فهي تشير إلى نظرة سلطان باشا الثاقبة واستشرافه المستقبل، فالحكومات العسكرية تكلف بلدانها الكثير وتجمد الحياة المدنية فيها وتاريخها في أوروبا معروف ودروسه ليست ببعيدة لذلك كان دعمه للخديوي توفيق أمراً طبيعياً.

ظن سلطان باشا أن استدعاء الإنجليز لنصرة الخديوي سيكون مؤقتاً ولن يكون احتلالاً دائماً وفقاً لرواية ابنته هدى، وهو تفكير وإن كان قاصراً لكن لابد وأن ننظر إليه في توقيته خاصة إذا علمنا أن هذا فكر الخديوي توفيق نفسه أيضاً!!

الأب وعوامل التحول:

هذه التحولات في شخصية الأب بالطبع أثرت في شخصية هدى ولو بشكل غير مباشر، وربما تحولها من الاتجاه المحافظ إلى الليبرالي إحدى أوجه هذا التأثر وهذا يطرح سؤالاً هل العقيدة السياسية والتوجهات الاجتماعية موروثة أم لا؟

تقبـع إجابـة هـذا التسـاؤل تحـت مصـطلح الجينـات السياسـية "الجينوبوليتيكس"، وهي دراسة الأسـاس الـوراثي للسـلوكيات والاتجاهـات السياسية.

ذهبت بعض الدراسات إلى أن اختيار الأحزاب تشكله التنشئة الاجتماعية الأبوية غالباً فيما تشير دراسات أخرى إلى دور الجينات في ذلك ومنها دراسة طريفة أجراها باحثون من جامعة سنغافورة عام **2015**، وضمت **1800**متطوعاً، وبعد أخذ آرائهم وانتمائاتهم السياسية تم أخذ عينات من الحمض النووي لهم، اكتشف العلماء وجود علاقة بين الجينات واختيار الإنسان للعقيدة السياسية التي يؤمن بها.

اتضح للباحثين دور الجين **DRD4** في تحديد الموقف السياسي للشخص، وخاصة عند السيدات هذا الجين يؤثر في توازن مادة الدوبامين "هرمون السعادة" في الدماغ وبالتالي فإن تغير الجين **DRD4** المسؤول عن حصول الجسم على هرمونات السعادة، يؤثر في اختيار الشخص للحزب السياسي.

التأثر بوالدتين:

توفي الأب تاركاً ثروة ضخمة وهدى في عمر الخمس سنوات فعاشت مع والدتها إقبال ذات الأصول القوقازية وزوجة أبيها حسيبة التي كانت تناديها ماما الكبيرة وتحت وصاية ابن عمتها علي شعراوي.

كانت الطفلة هدى شديدة التعلق بماما الكبيرة؛ فتستأذن والدتها في تمضية الليالي معها وتعلل ذلك هدى بالشبه بينهما في حب الهواء الطلق على عكس والدتها إقبال كما أن حسيبة كانت صريحة معها حينما سألتها عن سبب تفضيل أخيها علي عليها وهي الأكبر عمراً ومن الطبيعي أن يكون نصيبها الأوفر ومركزها أعلى منه فكان جوابها: "ولكنك فتاة وهو غلام وليس هذا فحسب بل أنت لست الفتاة الوحيدة وهو الولد الوحيد الذي عليه عمار الدار. أنت عندما تتزوجين ستذهبين إلى منزل الزوجية وتحملين اسم زوجك أما هو فسيحيي اسم أبيه ويفتح بيته".

تأثر كبير لهدى بوالدتيها الكبيرة والحقيقية وتفاعلها مع مشاعرهما الحزينة يمكن ملاحظته بوضوح في مذكرات هدى شعراوي وهو أمر طبيعي يتفق مع حقائق العلم ففي دراسة على عدة عائلات، نُشرت نتائجها في مجلة العلوم العصبية، تقول الباحثة فوميكو هيوفت وهي أستاذ مشارك في الطب النفسي بجامعة كاليفورنيا وباحثة رئيسة في الدراسة: أن النظام الدماغي الحوفي المسؤول عن تنظيم المشاعر والمرتبط بمظاهر الاكتئاب غالباً ما ينتقل من الأم إلى الابنة أكثر من الأم إلى الابن أو من الأب إلى الابن وتستشهد هوفت على تأثير قوى الطبيعة والتربية بقصة هورتون يفقس البيض للدكتور سوس حيث يجلس فيل على بيض الطير بدلاً من أمه الحقيقية ليفقس هجيناً من فيل وطير في النهاية.

انتماء هدى لطبقة الأثرياء أتاح لها تلقي دروس منزلية في اللغات كالعربية والفرنسية والتركية، وفي البيانو وأتمت حفظ القرآن الكريم في التاسعة من عمرها.

محطات فارقة:

قطعت هدى نيابة عن الباحثين شوطاً كبيراً في تحليل شخصيتها والتغيرات التي طرأت عليها عبر ما سجلته تفصيلياً في مذكراتها التي نلمح فيها عدة نقاط كان لها الباع الأكبر في التحول، وإن لم تخلُ هذه المذكرات من مبالغات وشعور متزايد بتضخيم الذات:

الأمر الأول: التمييز في الجنس وعدم المساواة فكان لأخيها الأصغر منها كل الامتيازات؛ فهو الولد الذي يحمل اسم أبيه، أما هي فستتزوج وتحمل اسم زوجها كما حدثتها زوجة أبيها.

الأمر الثاني: الزواج المبكر ومن رجل هو ابن عمتها والوصي عليها علي شعراوي وكان متزوجاً ويكبرها بفارق زمني ضخم أربعون عاماً، مما حرمها من هواياتها في عزف البيانو وزرع الأشجار والتدخين أيضاً، مما أصابها بالاكتئاب.

الأمر الثالث: رؤيتها أن الاختلاط بين البنات والأولاد في مراحل الطفولة له دور هام في إذابة الفوارق بين الجنسين وبناء وشائج من الصداقة البريئة.



الفترة الذهبية:

اشترطت إقبال على زوج ابنتها والوصي في الوقت ذاته علي شعراوي أن يوقع إقراراً بأن تكون ابنتها الزوجة الوحيدة وأخفت ذلك عن ابنتها لكن حينما علمت الأم أن زوج ابنتها قد حنث بوعده ولم يفِ بالتزامه قامت ثورتها مما كان له وقع إيجابي على هدى، التي تمتعت بفترة من الانفصال عن زوجها دامت سبع سنوات.

مثلت سنوات الانفصال لهدى الفترة التي شكلت وعيها وحددت لها وجهتها فاستأنفت دروس اللغة الفرنسية واللغة العربية، والبيانو الذي كانت تقضي وقتها عليه لساعات متأخرة من الليل، كما تعرفت على ثلاثٍ من صفوة المجتمع الراقي هُنَ: عديلة نبراوي الصديقة المصرية والتي كانت تصحبها لدار الأوبرا، وعطية سقاف تركية وأوجيني لو بران التي اعتبرتها بمثابة الأم وهي فرنسية الأصل.

ثورة **1919**:

تعتبر ثورة عام **1919** هي المفجر الأول للحركة النسائية الناهضة فقد شهدت الثورة مشاركة نسائية فاعلة وكانت رسالة بتوقيع ثلاثي من صفية زغلول وهدى شعراوي وأستر فهمي للرئيس الأمريكي ويلسون احتجاجاً على اعتقال سعد زغلول وعلي شعراوي وغيرهم وهم في طريقهم لمؤتمر



الصلح بباريس للمطالبة بالجلاء، كما سجلت الثورة أول شهيدتين من النساء هما شفيقة محمد وحمدية خليل.

رحلة الدفاع عن حقوق المرأة:

كانت البداية مع حضورها لأول مؤتمر دولي للمرأة في روما عام **1923** ولقائها الدوتشي موسوليني، وكما زعمت في مذكراتها أنه أعرب لها عن اهتمامه بحركات التحرير في مصر!! تزامن هذا مع تشكيلها الاتحاد النسائي المصري وكان الاتحاد النسائي ساحة مفتوحة لكل النساء باختلاف أطيافهن دون تمييز للمشاركة، فضم المسلمة المحجبة مثل نبوية موسى والمسيحية مثل أستر فهمي والحاسرة مثل درية شفيق.

سعت هدى من خلاله إلى تحسين وضع المرأة في المجتمع المصري، وذلك عبر إتاحة حق الانتخاب للمرأة ومساواتها بالرجل في الحقوق السياسية وفي فرص التعليم والعمل وعدم إجبارها على الزواج وتقييد حق الطلاق وتعدد الزوجات والحض على الجمع بين الجنسين في مراحل الطفولة والتعليم الابتدائي. الطريف أن الاتحاد رفض حتى التمييز في اللغة العربية بين المرأة والرجل، فطالب المجامع اللغوية العربية بحذف نون النسوة. دعمت هدى شعراوي دعوة شيخ الأزهر أبو الفضل الجيزاوي إلى منع المسكرات وزادت عليه محاربة محلات البغاء أيضاً. كما رفضت دعوة سلامة موسى لمساواة المرأة بالرجل في الميراث، فلا يجب التأثر بالغرب في كل

شيء فلكل بلد خصوصية في التقاليد والتشريع، وهو ما يثبت أن هدى شعراوي لم تناصب الدين العداء، كما أنها لم تخلع ولم تحرق الحجاب كما يتهمها السلفيون حتى يومنا هذا، وحقيقة الحادثة أنها خلعت النقاب وشتان بين الحجاب والنقاب! تقول هدى عن هذه الحادثة: "ورفعنا النقاب أنا وسكرتيرتي سيزا نبراوي وقرأنا الفاتحة، ثم خطونا على سلم الباخرة مكشوفتي الوجه، وتلفتنا لنرى تأثير الوجه الذي يبدو سافراً لأول مرة بين الجموع، فلم نجد له تأثيرًا أبدًا لأن كل الناس كانوا متوجهين نحو سعد زغلول متشوقين إلى طلعته".

جهود هدى شعراوي عبر الاتحاد لا تنكر فقد تم إنشاء دار التعاون الإصلاحي كمدرسة لتعليم النساء مبادئ الصحة والدين وإقامة مشغل للفتيات وسوق خيري لعرض المنتجات ومصنع لأعمال الخزف والصيني فضلاً عن ملاجئ لليتيمات وحضانات للأطفال، يقوم عليها مشرفات كما أصدرت مجلة "المصرية" باللغتين العربية والفرنسية؛ لتكون منبراً لصوت المرأة المصرية، ولم تقتصر جهود الاتحاد على الشأن المحلي، بل امتدت إلى المشاركة في قضايا الأمة، مثل بعثة الهلال الأحمر المصري إلى سوريا عام **1945**، والذي أسهم في إنشاء مستشفى ميداني هناك وإمداده بالطبيبات والتمريض وقيل أن هدى شعراوي ماتت وهي تكتب على فراش مرضها



الأخير بياناً تندد فيه بقرار تقسيم فلسطين عام **1947**، وتطالب الدول العربية بالوقوف صفاً واحداً لمجابهته.

سقوط ورقة التوت:

قديماً فرق علماء اللغة بين التضاد والتناقض، فجعلوا التضاد في الأفعال والتناقض في الأقوال، ولكن حادثة في حياة الست هدى جعلتنا في مأزق حيارى بين التضاد والتناقض أو الجمع بينهما!!!

تقول هدى في مذكراتها: "ولقد ربيت ابنتي وابني عن طريق الإقناع، فلم أنهرهما أبدًا وأستعمل الغلظة معهما حتى ولو وقع من أحدهما خطأ يستوجب ذلك؛ بل كنت أحاول إقناعه بخطئه في لطف حتى يقتنع ويشعر بشيء من الخجل، فلا يأتيه ثانية من نفسه، وبذلك أمكنني أن أبث فيهما روح تقدير المسؤولية وتحملها بأهداب الأمانة والصدق، وقد شبا على هذه الصفات وتطبعا بهذه الفضائل، وشجعني ذلك على المضي في هذه الطريقة التربوية الصحيحة التي لا تتطلب من الأم إلا قليلًا من الصبر والتفرغ لأقدس الواجبات".

من السهل أن نخط أوراقنا بمثالية مفرطة لكن ماذا لو وضعنا هذه المثالية في اختبار حقيقي؟!



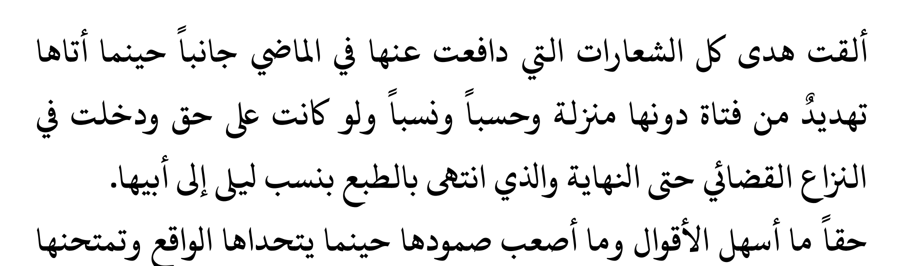
في إحدى حفلات هدى شعراوي بمنزلها تعرف ابنها محمد شعراوي على المطربة فاطمة سري، التي أحيت الحفل وراح يطاردها حتى وقعت في غرامه وحدث المحظور، وبدأت تظهر عليها علامات الحمل حاول محمد شعراوي التنصل منها فلما ضيقت حوله الخناق كتب إقراراً بخط يده يعترف فيه بزواجه منها شرعياً واعترافه بالجنين. أنجبت فاطمة الطفلة ليلى. علمت هدى شعراوي بالأمر فحاولت الضغط على المطربة بالترغيب تارة وبالوعيد تارة عبر تلفيق ملف بالآداب للفتاة للسكوت.

سافر محمد شعراوي إلى أوروبا وطلب من فاطمة اللحاق به، ثم تهرب منها من بلد لآخر فعادت فاطمة إلى مصر. حاول محمد بعد ذلك الحصول على ورقة الإقرار منها بأي وسيلة حتى يخفي معالم جريمته، فأعطته صورة منها على أنها الورقة الأصلية فحملها واختفى ولم تفلح في العثور عليه بعد ذلك فتوجهت برسالتها لرائدة التحرر النسائي هدى شعراوي مخاطبة ضميرها:

"سيدتي سلاماً وبعد، إنّ اعتقادي بك وبعدلك، ودفاعك عن حق المرأة، يدفعني كل ذلك إلى التقدم إليك طالبة الإنصاف، وبذلك تقدمين للعالم برهاناً على صدق دفاعك عن حق المرأة، ويمكنك حقيقة أن تسيري على رأس النساء مطالبة بحقوقهن، ولو كان الأمر قاصراً عليّ لما أحرجت مركزك، لعل أنّك أم تخافين على ولدك العزيز أن تلعب به أيدي النساء وتخافين على مستقبله من عشرتهن، وعلى سمعته من أن يقال أنَّه تزوَّج امرأة كانت فيما مضى من الزمان تغني على المسارح، ولك حق إن عجزتِ عن تقديم ذلك

البرهان الصارم على نفسك؛ لأنّه يصيب من عظمتك وجاهك وشرف عائلتك، كما تظنون يا معشر الأغنياء، ولكن هناك طفلة مسكينة هي ابنتي وحفيدتك، إنّ نجلك العزيز، والله يعلم، وهو يعلم، ومن يلقي عليها نظرة واحدة يعلم ويتحقق من أنّها لم تدنس ولادتها بدم آخر، والله شهيد، طالبت بحق هذه الطفلة المعترف بها ابنك كتابياً، قبل أن يتحوّل عني وينكرها وينكرني، فلم أجد من يسمع لندائي، وما مطالبتي بحقها وحقي كزوجة طامعة في مالكم، كلا! والله فقد عشت قبل معرفتي بابنك، وكنت منزهة محبوبة كممثلة تكسب كثيراً، وربما أكثر ممّا كان يعطيه لي ابنك، وكنت متمتعة بالحرية المطلقة، وأنت أدرى بلذة الحرية المطلقة التي تدافعين عنها، ثم عرفت ابنك فاضطرني أن أترك عملي وأنزوي في بيتي، فأطعته غير طامعة بأكثر ممّا كان يجود به، وما كنت لأطمع أن أتزوّج منه، ولا أن ألد منه ولداً، ولكن هذه غلطة واسأليه عنها أمامي، وهو الذي يتحمّل مسؤوليتها، فقد كنت أدفع عن نفسي مسألة الحمل مراراً وتكراراً، حتى وقع ما لم يكن في حسابي، هذه هي الحقيقة الواقعة وانتهى الأمر. والآن يتملّص ولدك من كل شيء، ولا يريد الاعتراف بشيء".

واختتمت رسالتها بمهلة أسبوع وإلا اضطرت للجوء للمحاكم للفصل في الأمر وهي على ثقة أن الحكم في صالحها.



ألقت هدى كل الشعارات التي دافعت عنها في الماضي جانباً حينما أتاها تهديدٌ من فتاة دونها منزلة وحسباً ونسباً ولو كانت على حق ودخلت في النزاع القضائي حتى النهاية والذي انتهى بالطبع بنسب ليلى إلى أبيها.

حقاً ما أسهل الأقوال وما أصعب صمودها حينما يتحداها الواقع وتمتحنها التجربة.

****



الحكاية الثالثة

ألمظ والحامولي... صراع حتى الزواج

مقدمة:

حب من طراز فريد جمع بين رمزين من رموز الطرب الأصيل إنهما ألمظ وعبده الحامولي.

كانت ألمظ أو سكينة وهو اسمها الحقيقي، فتاة فقيرة تغني بصوت ساحر بديع وهي تحمل في دلال قصعة من مونة الجير فوق رأسها لتوصلها للبنائين.

يحمل القدر لألمظ فرصة ذهبية حينما تسمعها الست ساكنة هانم اللقب الذي ناداها به الخديوي إسماعيل، وهي أكبر عالمة في مصر المحروسة منذ عصر محمد علي باشا.

أعجبت ساكنة هانم بصوتها وضمتها لتختها لكن الغيرة طبعٌ مستأثر في نفوس البشر فسرعان ما تدب الغيرة في نفس ساكنة هانم مع صعود نجم ألمظ واحتلالها المرتبة الأولى في قصور الأمراء والنبلاء وحتى مجلس الخديوي إسماعيل ذاته.

أفل نجم ساكنة هانم فاختارت الانزواء إلا من مجالس قراءة القرآن ومجالس الأدب حتى وفاتها.

نأتي إلى ذكر عبده الحامولي والذي نشأ نشأة فقيرة هو الآخر وكان فراقه لأبيه هربا فاتحة خير أمامه مع عمله في مقهى المعلم شعبان بحي الأزبكية كمطرب ومع ازدحام المقهى بالزبائن تفتق ذهن المعلم شعبان إلى حيلة لضمان عدم ترك الحامولي لمقهاه بعد أن ذاعت شهرته وهي أن يزوجه ابنته والتي أصبحت هي وأبيها مصدرًا للنكد والتعاسة وبداية لمرض الصداع الذي رافق الحامولي طيلة حياته فقرر الفرار للمرة الثانية.

والتقى الحامولي بشاكر أفندي الحلبي والذي تعلم على يديه أصول الغناء والطرب والموشحات والأدوار ومن مجلس شاكر أفندي إلى مجلس الخديوي إسماعيل وهناك كان اللقاء الذي غير مسار عبده رأساً على عقب.

الصعود:

انضمام الحامولي إلى حاشية الخديوي إسماعيل جعله يقود ثورة موسيقية في عصره عبر مزج الألحان المصرية والتركية، كما استخدم مقامات لم تكن موجودة، مثل الحجاز كار والنهاوند والكرد والعجم وقد تعاون معه كبار رجال الدولة من الشعراء أمثال محمود سامي البارودي وإسماعيل صبري باشا والشيخ عبد الرحمن قراعة والذي أصبح مفتياً للديار المصرية في عهد الملك فؤاد.

كانت المنافسة حامية في قصر الخديوي بين ألمظ وعبده الحامولي ولأن الاختلاط لم يكن من شيم هذه العهود، فكانت تغني من الحرملك وهو يغني من السلاملك، وما لبثت أن تحولت المنافسة إلى حب وإعجاب متبادل فشدت ألمظ:

يالي تروم الوصال وتحسبه أمر ساهل
دا شيء صعب المنال وبعيد عن كل جاهل

فكان رد الحامولي بأغنية بديعة:

روحي وروحك حبايب
من قبل دا العالم.. والله

غضب الخديوي:

بعد زواج الحامولي من ألمظ رفض أن تُحيي حفلات من جديد لدى الخديوي، ولكن الظاهر أن عبده نسي أو تناسى أن قراراً كهذا ليس من سلطاته وإن كان الزوج، بل قرار الخديوي إسماعيل بحكم كونهما مطرباً القصر.

غضب الخديوي على عبده وقرر حبسه وأمر باستدعاء ألمظ للغناء بقصره أغنيته المفضلة:

والنبي لأهشه دا العصفور وأنكش له عشه دا العصفور.



سعي الحامولي لدي المقربين من الخديوي للعفو عنه وهو ما قد تم وعادت ألمظ للغناء.

ماتت ألمظ في حياة عبده الحامولي فغنى في ذكراها:

شربت المر من بعد التصافي
ومر العمر وما عرفتش أصافي
عداني النوم وأفكاري توافي
عدمت الوصل، يا قلبي عليه

امرأة واحدة لا تكفي:

وعلى الرغم مما يبدو من أن ألمظ كانت حب الحامولي الوحيد إلا أنه تزوج ثلاث زيجات أخرى، آخرها سيدة تركية تدعى جولنا هانم.

وهذا يقودنا إلى تساؤل طريف لماذا يرفع البعض شعاراً امرأة واحدة لا تكفي؟ هل لدى العلم إجابة؟ في تجربة مثيرة بجامعة إيموري بالولايات المتحدة في **2004**، وجد أن فئران البراري ترتبط بأنثى واحدة طيلة حياتها بينما يظهر تعدد الزوجات لدى فئران الحقول. اكتشف العلماء أن فئران البراري لديها كثافة أعلى من مستقبلات هرموني الأوكسيتوسين والفاسوبريسين في دماغها، مقارنة بفئران الحقول. وهرمون الأوكسيتوسين هو المسؤول عن الشعور بالحبّ بينما هرمون الفاسوبريسين مسؤول عن تنظيم السلوك الاجتماعي واختيار الشريك.



الحكاية الرابعة

روشتة عميد الاحتلال

مقدمة:

في المجال الطبي تحتم عليك مسؤوليتك كطبيب أن تشخص مريضك بعناية وأن تكون صريحاً معه في كل ما يخص حالته، وخطط علاجه دون أن تسبب له جرحاً أو متاعب نفسية وأن تكون روشتك الطبية كافية ووافية لعلاج أعراض مرضه وفي كل هذه المراحل لابد وأن يكون معك المريض خطوة بخطوة وأن تتأكد من اقتناع المريض وفهمه لخطة العلاج والخيارات المتاحة، وأخذ توقيعه وموافقته في بعض الإجراءات... الروشتة هي كلمة إيطالية تعني الوصفة الطبية، ودائماً ما تحتوي الروشتة كعرف عالمي على رمز **Rx**، وهو رمز لعين حورس في أقوال ورمز للإله جوبيتر "المشتري" في أقوال أخرى وهو ما يعطي الروشتة الطبية القداسة لما تتضمنه من أدوية ونصائح تعالج المريض وتحفظ حياته. هذا في عالم الطب لكن في عالم السياسية ربما كان لها شكل ومحتوى وأهداف مغايرة.



عميد الاحتلال:

اللورد كرومر "إڤـلين بارنگ" رجل اقترن اسمه في كتب التاريخ المصرية بالعنف والشدة، كأحد أعمدة السياسية الاستعمارية البريطانية في مصر والهند.

أمضى كرومر في مصر ربع قرن كان فيها الحاكم الفعلي للبلاد وكانت ميزانية البلاد وخفض فوائد الديون على قمة أولوياته وقد اعتنى بالري والزراعة فيما أجهض التحول نحو الصناعة في مصر.

كان تبنيه للعنف والشدة بحق المتهمين في حادثة دنشواي عام **1906** وتنديد الرأي العام العالمي بذلك محرجاً لبريطانيا؛ فاضطر للاستقالة لتهدئة الرأي العام وأقيم له حفلَ وداعٍ بدار الأوبرا عام **1907** امتنع عن حضوره أغلب الساسة المصريين ما عدا ثلاثة هم: مصطفى فهمي باشا ورياض باشا وسعد زغلول باشا، وكانت خطبة كرومر في هذا الحفل شديدة الاستفزاز للحضور حيث قال: "أننا في ربع قرن قد أدينا عملاً طيباً على ما فيه من القصور ولا يمكن أن أصدق أنه يمكن للمصريين أن يتنكروا للتمدن الغربي الذي جلبته لهم إنجلترا في خلال الخمسة والعشرين عاماً، ذلك التمدن الذي نشلهم من وهدة اليأس بعدما هرموا فيها. وهب أبناء الجيل الحاضر لا يعترفون بهذه الحقيقة فإني لا أزال آملاً أن يعترف

بها أبناؤهم، إذ المعتاد أن يكون أولاد العميان مبصرين. إن الاحتلال البريطاني سيدوم ويبقى ولا يكن عند أحد ريب في هذه الحقيقة الثابتة".

مصر الحديثة:

في كتابه الموسوعي الضخم "مصر الحديثة" الصادر عام **1908** بعد عام واحد من رحيله عن مصر، وضع كرومر روشتة للمستعمر الأوروبي للتعامل مع مصر والمصريين. المستعمر الأوروبي الذي جاء إلى مصر رغماً عنه وبغير رغبة في الاحتلال، وهو يفتخر في الوقت ذاته برسالة الاحتلال الأنجلوسكسونية العظيمة، والتي تنبع من ضمير سياسي وحرص على سلام أوروبا موضحا أن النوايا البريطانية ليست ضم مصر ولكن تقديم أوجه العون والخير لها.

وكعادة الكتاب الإنجليز في تحميل الخديوي إسماعيل أسباب الأزمة ونتائجها لإسرافه وبذخه الشديدين يرى كرومر أن بذور الحضارة التي بذرها إسماعيل قد ماتت لأنها بذور ضارة أتى حصادها بالهيمنة الأوروبية والتمرد العسكري، وأن مصر بحاجة إلى وقت طويل لإعادة التأهيل.

كان كرومر يرى أن المصريين مسلمين وأقباطاً لا يصلحون لتولي خطة الإصلاح والتطوير التي وضعها الاحتلال وهو وضع ليس بجديد فالاحتلال جاء والمصريون أصفاراً بحد تعبيره، وأن الاعتماد ينبغي أن يكون على

الإنجليز والشوام المسيحيين، وأسبابه في ذلك أنه يرى المصري مقلداً ممتازاً لكن لا يمتلك زمام المبادأة تشرح له الفكرة فينفذها على وجه السرعة ويصنع صورة أمينة ومطابقة للأصل الذي أنجزه معلمه الأوروبي بالحرف وعن طيب خاطر ويشبه المصري في ذلك بتحركات الإنسان الآلي وهو ما يستلزم زمن طويل قبل سحب الإشراف الإنجليزي.

كما أن الشرقي بطبعه لا يجيد الاعتدال في الإصلاح فإما أن يكون محافظاً عنيداً أو مجدداً متهوراً، تماماً كالطباخ الذي تطلب منه كثيراً من الملح على الحساء فلا يضف شيئاً فإذا أخبرته أن الملح غير كافٍ وضع الكثير منه.

لا تتوقف أسبابه عند هذا فهو يرى سحابة من الضباب الكثيف تفصل بين الرجل الأوروبي والمصري يمثلها التعصب الديني ويقصد به الإسلام والعادات والتقاليد البالية غير المتحضرة والمنافع الخاصة وأن عدوى التخلف انتقلت إلى الأقباط من المسلمين.

كرومر هنا يضرب أروع الأمثلة على التشتت الذهني الذي ضرب به أمثلة عند المصريين كما سوف نتحدث بعد ذلك فخطة الإصلاح حينما تستبعد منها المصري تكن تماماً كالطبيب الذي تجاهل المريض في خطة علاجه فما الفائدة إذاً؟! .

لا ينبغي أن نغفل حقيقة أن كرومر وجه جهوداً كبيرة للتنمية الزراعية حتى وإن صبت في مصلحة الاستعمار فقد أوقف الإعدامات والنفي بحق الفلاحين وألغى السخرة وخفض الضرائب وقدم خدمات للفلاحين مثل

توصيل الماء للحقول وطرقاً وسككاً حديدية لنقل منتجاتهم وتقديم الغوث المالي لهم عبر البنك الزراعي الذي تحمس له بعد إنشاء البنك الأهلي والتوسع في أعمال الري وإقامة خزان أسوان وقناطر أسيوط وإسنا.

ولكن كيف يفهم المصري ما صنعت له من جميل؟! وهو ليس شريكاً أساسياً فيه ومنفذاً مدرباً له لذلك فليس حرياً بكرومر انتقاد الفلاحين المصريين أو أصحاب الجلاليب الزرقاء كما يطلق عليهم بأنهم أكثر فئة استفادت من الاحتلال لكنّ "نكرانَ الجميل مَعْلمٌ رئيسٌ من معالم الشخصية المصرية" على حد زعمه!!

تشخيص الداء المصري:

يستعرض كرومر في كتابه أسباب التخلف في الشرق والتي ندمجها في النقاط التالية مستخدمين عباراته:

1-الاستبداد والقمع

ينعت كرومر التسعة أو عشرة ملايين مواطناً مصرياً بالفقر والجهل والسذاجة مع عرق طيب باق على حاله طوال ستين قرناً من الزمان يعانون فيه من سوء الحكم والقمع على أيدي مختلف الحكام بدءاً من الفراعنة إلى الباشوات بحسب تعبيره.

وأن الفلاحين المصريين كانوا يئنون من الإقطاع والاستبداد لعهود طويلة.



2-الإسلام

يخلط كرومر خلطاً كبيراً بين الإسلام كديانة سماوية ذات مبادئ سامية وتعاليم تلائم الفطرة البشرية، وبين تطبيق الإسلام والذي قد يعتريه بعض القصور والأخطاء ويظهر هذا التناقض جلياً حينما يصف الإسلام بالمذهب التوحيدي النبيل مبدياً إعجابه بشرح الصحابي جعفر بن أبي طالب لمبادئ الإسلام للنجاشي ملك الحبشة، وأن المجتمع البدائي قد استفاد إفادة عظيمة من اعتناق الإسلام مشيداً بمقولة للسير جون سيلي حول قوة الدين في بناء الدولة.

ثم يتناقض مع نفسه بالكلية فيصف الإسلام بأنه ينزع بشكل عام إلى الحث على عدم التسامح وتوليد الكراهية والاحتقار للمشركين والموحدين على السواء وأنَّ محمداً مؤسس هذا الدين صبَّ لعنات الله على كل من لا يسلم أن الوحي يأتيه من السماء وأن الأرض كانت مهيئة له عبر أتباعه من المتوحشين المحبين للحرب وذلك بحسب تعبيراته.

ونتيجة لذلك يبدي المصري تسامحاً مشوباً بالاحتقار مع اليهودي والمسيحي في قرى الصعيد، كما أن المعاملة بالمثل والثأر والكراهية مباركة من الدين الإسلامي وهو في ذلك يعقد مقارنة مع الديانة المسيحية منتصراً لها.

لا يتوقف هجوم كرومر على الإسلام عند هذا الحد فهو ينقل عن المستشرق ستانلي بول اعتبار الإسلام نظاماً اجتماعياً فاشلاً فالمرأة في وضع

متدن إضافة إلى عدم المرونة في التشريع فيصف حد الحرابة بالعقاب المروع وأن العرف المبني على الشريعة والتوقير المبالغ فيه للمشرع يطوق معتنقي الإسلام بقبضة حديدية لا فكاك منها وأخيراً أن الإسلام لا يشجع العبودية لكن يتسامح معها فأتباع محمد امتلكوا العبيد وهي نقطة سيئة بحسب تعبيره.

الحقيقة أن كرومر أقحم نفسه في قضايا شائكة بعيدة كل البعد عن تخصصه وتحدث في مضمار لا يخدم فكرته بل ينفر منها ولا يقيم أبداً لحضارة إنسانية جامعة كما أنه تخلى عن الأسلوب الأكاديمي المنزه من العنصرية والكراهية حينما تحدث عن الإسلام بتوصيفات غير لائقة ولا تقوم على أدلة وبراهين.

لا ننكر أن كرومر كان محقاً في بعض القضايا التي تدخل في تجديد الخطاب الديني ومنها مثلاً الخطب التي تدعو على الكافرين في كل الأوقات وفي كل مناسبة وتنطوي على نغمة من الإهانات القاسية والتي تؤجج نار التعصب كما يقول وهي مسألة لو ناقشها بشيء من الهدوء مع أصحاب الفكر والتنوريين في عصره لكنا على وضع غير ما نحن فيه الآن خاصة أنه بدا متحمساً لشيوخ تنويريين مثل الشيخ محمد بيرم والشيخ محمد عبده.

كما ناقش قضيتين وجدتا طريقهما نحو الحل، الأولى قضية حتمية وجود الشهود لتنفيذ القصاص في القتل نظراً لانتشار شهود الزور المستأجرين، مما يشجع على الحنث في اليمين واستخدام التعذيب لاستخلاص الأدلة



ويعترف بأنّ تعديلاً قد أجري في هذه المسألة، والقضية الثانية هي إيقاف حكم الردة بجهود السفير ستراتفورد لدى إسطنبول بعد إعدام أرميني دخل الإسلام ثم ارتد عنه.

3-خصال المصريين

من أكثر المباحث في كتاب كرومر طرافة وأكثرها إثارة رصده لصفات المصريين السلبية ومنها ما هو قائم حتى الآن ومنها:

-الافتقار للملكة المنطقية فإذا حاولت الحصول من المصري على عبارة واضحة وبسيطة تجده يطنب في الشرح مع غياب الوضوح والتعقل ويناقض نفسه ست مرات قبل أن ينتهي من قصته وغالباً ما ينهار مع أول محاولة لاستجوابه.

-المصري ليس شكاكاً بدرجة كبيرة لكن سرعان ما يستسلم للساحر والمنجم.

- كبار المتعلمين المصريين يعزون أحداث الحياة العامة إلى قوة خارقة.

-المصري في المسائل السياسية والعامة على استعداد لقبول الشائعات شديدة السخف وتنتابه مسحة من الشك عندما يطلب منه تصديق الحقيقة.

-حياة المصري هي الماضي والحاضر أما المستقبل فهو كفيل بنفسه.

-القسوة على الحيوانات من سمات الشارع المصري.

-التشويش الذهني عند المصري غير المتعلم فالبشر يمشون على الرصيف والحيوانات في الطريق والمصري يفعل العكس! ومحولجي السكة الحديد يحول الخط الذي عليه القطار المار في منتصف المسافة بين الخط الأصلي والخط الذي سينتقل عليه القطار مما يؤدي لانقلاب القطار كما يضرب مثلاً بعمال من السكك الحديدية لقوا حتفهم ورؤوسهم على القضبان ظناً منهم أن الضوضاء ستوقظهم.

-المصري "حيص بيص" في المسائل المتعلقة بالأرقام أو الكمية فقلة من المصريين غير المتعلمين هم من يعرفون أعمارهم.

لكن كرومر لم يتوقف عند السلبيات فحسب بل عدَّدَ أيضاً الإيجابيات الضئيلة ومنها:

-إكرام وفادة الغرباء والذي يصل إلى الإسراف أحياناً ورعاية الوالدين وبرهما.

وبعد ما استعرضنا ما سمح به المقام وخشية الإطالة تشخيص عميد الاحتلال للمرض فما هي الروشتة؟!!

روشتة ما باليد حيلة:

يخلص كرومر في روشتة الإصلاح إلى القول وضده على النحو التالي:

-صحيح أن حكومة بلاده قطعت على نفسها عهداً بالقضاء على الثورة العرابية ودعم سلطة الخديوي ولابد من الوفاء بذلك لكن استمرار الاحتلال والإشراف الإنجليزي لأجلٍ غير مسمى أمر ضروري.



-نظام الامتيازات الأجنبية حجر عثرة أمام تقدم مصر لكن لابد من نظام يضمن حقوق الأجانب.

-لابد من الحكم النيابي لكن لابد من التمهل لقياس صلاحية المصريين له.

-من حق مصر أن يكون لها حكومة ذات سيادة ولكن مصر ليست كسائر البلدان لموقعها الجغرافي والتاريخي مما يسلبها هذا الحق والفطن من يدرك أن مصلحته في تقبل الأمر الواقع والتقيد بإطاره. الطريف أنه وبعد مضى عامين فقط من إصدار الكتاب ألقى الرئيس الأمريكى ثيودور روزفلت المنتهية ولايته وقتئذ خطابا بالجامعة المصرية عام **1910** تحدث فيه: "أنّ المصريين لايزالون في طور الحضانة السياسية وغير قادرين على حكم أنفسهم، وعليهم احترام وطاعة حكامهم الإنجليز وأن بعض الجهلاء يعتقدون أن منح الأمة دستوراً على الورق وبخاصة إذا كان مفتتحاً بعبارات فخمة من شأنه أن يمنح الأمة قوة الحكم الذاتي مع أن شيئاً من ذلك لا يحدث بتاتاً"!!

وهكذا كانت روشتة المستعمر داعمة لبقاء الاحتلال تحت ستار الاضطرار وما باليد حيلة!!

****



الحكاية الخامسة

الباشا البرجماتي

مقدمة:

للفيلسوف اليوناني "فلوطرخس" مبدأ رواقي يقول أنّ هناك اتفاق كامل بين مبادئ المرء وسلوكه. بالطبع ربما كان هذا المبدأ سائداً في حياتنا البسيطة لكن في عالم السياسة اللاهث خلف المنافع أشك أن يكون لهذا المبدأ وقع أو أثر ولنا في إسماعيل باشا صدقي خير مثل!!

من هو إسماعيل صدقي؟

ولد بالإسكندرية وتلقى تعليمه بمدرسة الفرير فأجاد اللغة الفرنسية. تخرج من مدرسة الحقوق فعمل بالنيابة العامة. اختير وزيراً للزراعة عام **1910** ووزيراً للمالية عام **1922**.

أنشأ المتحف الزراعي المصري على غرار نظيره بالمجر بأوامر من الملك فؤاد ويحسب لصدقي في وزارته الأولى الخطوات الاقتصادية التي اتخذها في أعقاب الأزمة المالية العالمية عام **1929** وألقت بظلالها على الاقتصاد المصري المعتمد على الزراعة فتراجع الطلب على القطن وتراجعت العملة المصرية وارتفعت الأسعار مما أدى لزيادة حالات الانتحار لعجز الأهالي

عن الوفاء بالتزاماتهم الحياتية فقام بتخفيض إيجار الأراضي الزراعية وتأجيل السداد وإنشاء بنك التسليف الزراعي وإنشاء مطاعم للفقراء وتحديد قوائم لأسعار السلع ولقد كان لهذه الأزمة أثر في تحول مصر للصناعة وتنويع مصادر دخلها أما في عهد وزارته الثانية عام **1946** فيحسب له تحديد عدد ساعات العمل بالمحال التجارية بتسع ساعات لا يدخل فيها وقت الراحة واستعمال اللغة العربية في المصالح والهيئات وأن تكون على اللافتات بخط أكبر حجما كما أنشأ مجلس الدولة ومؤسسة القرض الحسن بوزارة الأوقاف للإقراض دون فوائد.

تناقضات الباشا:

يعد إسماعيل باشا صدقي مثالاً صارخاً للبراجماتية السياسية بكافة صورها والشخص البرجماتي هو الذي يبحث عن المنفعة وحدها ولا يؤمن بالثوابت والحقائق المطلقة والنظريات وعلى استعداد لتغيير الثوابت إن لم تثبت منفعتها وفائدتها.

فنحن أمام الزعيم المكافح الذي خرج بصحبة سعد زغلول ومحمد محمود باشا وحمد الباسل للسفر لمؤتمر الصلح بباريس للمطالبة بالجلاء وتحمل معه مغبة النفي، ثم سمح للوفد بالسفر ومع ذلك يختلف مع سعد رافضاً

عرض انتهاكات القوات العسكرية الإنجليزية في مصر وبسبب ذلك فصل من الوفد.

نحن أيضاً أمام السياسي الذي اختلف مع معاصريه بشكل فج وعاصف ومع ذلك فهو الهادئ الرصين الذي يكتب مذكراته بحكمة وبالقفز على التفاصيل فجاءت لتجميل صورته وأنه لا يحمل أية ضغائن متبادلة بينه وبين السياسين المعاصرين له والأمر لا يعدو كونه شائعات.

نجد أمامنا رجلاً يقول في مذكراته أنه لا يميل إلى الحزبية وليس من طبيعته التشيع لشخص من الأشخاص ولو كانت نفسه ومع ذلك يشكل حزب الشعب ليكون قاعدة شعبية له ويستقطب الجماهير.

ولا تخلو مذكراته من التذلف والنفاق الذي يستحق أن يكون شعلة لكل من يريد التسلق والوصولية فيصف الملك فؤاد بعجيب الأطوار!!

لماذا؟

هل مثلاً يقصد شكوى الملكة نازلي ولجوئها إليه من محبسها طلباً للنصيحة والدعم. وكانت الملكة نازلي والتي تزوجت الملك فؤاد رغماً عنها قد أدلت بحديث للصحفية الأمريكية "جريس هوستون" واصفة الملك فؤاد بالغيور جداً فخرج تعليق الصحيفة بأن الملكة عصفور بقفص من ذهب فغضب فؤاد وحدد إقامتها بالقصر وجعل على جناحها إدريس بك



عثمان كبير الأمناء والخادم المخلص للملك والذي حمل أول جنيه مصري صورته عام **1928** لأنه تنبأ للملك فؤاد بالعرش.

الواضح من الرسالة التي وجدت بأوراق الصحفي محمد التابعي أنها تالية لرسائل سابقة بينها وبين صدقي باشا وأن نصيحة صدقي لها كانت بالخنوع التام لطلبات الملك وهو ما قوى جناح الفصيل الآخر الذي يناصبها العداء في القصر ويدبر لها الدسائس والمؤامرات وهي تعتب عليه عدم مساعدتها.

بالطبع هذه القصة ليست السبب في وصف صدقي لفؤاد بأنه عجيب الأطوار!! وإنما السبب كما جاء بالمذكرات أن الملك كان كمن تسلم رسالة من المولى سبحانه وتعالى بأن يكون نعمة على البلد وأن يكون وقته مكرساً للعمل وأن الملك كان يعلم من أعمال الحكومة مالا يعلمه الوزراء أنفسهم!!

سياسة صدقي:

عرف عن إسماعيل باشا صدقي كلمات مأثورة منها: "أن الرأي العام المصري صدى صوت رعاع وأن المصريين تجمعهم صفارة وتفرقهم العصا" لذلك لم يبالِ كثيراً بإيقاف العمل بدستور عام **1923** واستبداله بدستور عام **1930** والذي منح الملك سلطات أوسع لكن لم يكن هذا وحده السبب كان هناك سبب آخر أكثر اتساقاً مع عقلية الرجل وهو تقليل عدد النواب

وجعله عدداً ثابتاً بحيث يحد من التكتلات وتصبح مساحة الاختلاف والضجيج البرلماني المعارض أخف على مسامعه وهي نفس الطريقة التي اتبعها في تشكيل وزارته عام **1930**، التي ضمت ثمانية وزراء فقط وتوليه حقائب المالية والداخلية إضافة لرئاسة الوزراء وذلك لكراهيته لطموحات الوزراء وضيقه باختلاف الآراء.

التنازل عن واحة مصرية:

حاولت بريطانيا الدولة المحتلة لمصر إرضاء الطموحات التوسعية لموسوليني حاكم إيطاليا المحتلة لليبيا، وذلك بتقديم واحة جغبوب الواقعة بالحدود المصرية والتي جرى إنشاءَها بأموال مصرية وكانت معقلاً للسنوسيين وذلك كقرباناً للتقارب بين الدولتين المستعمرتين.

دارت هذه الأحداث في عام **1925** عندما كان البرلمان معطلاً في مصر وكانت الوزارة برئاسة أحمد زيور باشا والذي أوكل مسألة اقتطاع هذا الجزء من الأراضي المصرية لرجل المهام الصعبة إسماعيل باشا صدقي والذي قاد لجنة التفاوض عن الجانب المصري وببرجماتيته المعهودة توصل إلى التنازل عن الواحة مقابل الحصول على بئر الرملة!.

تم التوقيع على الاتفاقية المعروفة بنجريتو –زيور في ديسمبر عام **1925** لكن امتنعت كل البرلمانات اللاحقة في مصر على التصديق على الاتفاقية



حتى جاءت وزارة صدقي وبرلمانه المقاطع من الأحزاب الوطنية فصدق على الاتفاقية عام **1932** وبموجب مرسوم ملكي رقم **34** من الملك فؤاد في نفس العام دخلت الاتفاقية حيز التنفيذ ولم تحصل مصر على أي شيء في المقابل.

قضية مأمور البداري:

كانت هذه القضية هي القشة التي قصمت ظهر البعير فقد نالت من سمعة صدقي باشا بشكل كبير وتتلخص القصة في أن مرشح الوفد انتصر على مرشح الأحرار الدستوريين وصدقي يكره الوفد فكان لابد من الاستعانة بالضبط والربط في القرية فعينت الداخلية "يوسف الشافعي" مأموراً فكان خير من يمثل هذه الوزارة القمعية فكان يقبض على الناس بالشبهة وينتهك حرماتهم ومنهم شاب من القرية يدعى "أحمد جعيدي" لم يعجب المأمور مشيته بزهو مرتدياً جلباباً من الحرير وعصا ذات مقبض من العاج فقبض عليه ووضع التبن في فمه وحلق شاربه وربطه ولجمه كالدواب وهتك عرضه هو وصديق له فقررا الانتقام بقتل المأمور.

كان خبر مقتل المأمور مدعاة لسعادة القرية فرأى صدقي أن الرصاصات التي اخترقت صدر المأمور هي رصاصات موجهة لهيبة الدولة وكبريائها المتمثل في المأمور.

صدر الحكم بإعدام جعيدي وبالأشغال الشاقة المؤبدة على الآخر ولكن جاء حكم محكمة النقض تاريخياً بدفع سبق الإصرار عن المتهمين لأن ما جاء به المأمور إجرام في "إجرام وشذوذ وليس أداء واجب" وأنّ المتهمين تخوفاً من تكرار الأفعال نفسها بحقهما فكانت نفسيهما موتورة منزعجة فلا مساحة للعقل للتروي والتفكير المطمئن لذا فلا محل لسبق الإصرار.

وتم تخفيف الحكم من الإعدام إلى الأشغال الشاقة المؤبدة بحق جعيدي وبالنسبة للمتهم الثاني من الأشغال الشاقة المؤبدة إلى الأشغال الشاقة لمدة خمسة عشر عاماً.

ضج مجلس النواب ضد حكومة صدقي والتي شهدت انقسامات بعد قراره وقف التحقيقات في القضية واستقال وزير العدل علي باشا ماهر، ثم سقطت الوزارة برمتها.

الباشا الدنجوان:

كان إسماعيل باشا صدقي يظهر تشدده في مسائل الأخلاق والتدين ولكن في حقيقته كان على النقيض تماماً.

كان لإسماعيل صدقي وجهاً آخر فهو رغم تقدمه في العمر ابن الثلاثين أمام كل امرأة جميلة وابن العشرين أمام المرأة التي يحبها يجيد الغزل بفرنسيته الطليقة كما وصفه مصطفى أمين.

اقترن اسمه بواحدة من أشهر الفضائح الغرامية والتي انتهت نهاية دراماتيكية ففي عام **1915** داهمت قوات البوليس عوامة على النيل بها رجل وامرأة في وضع غرامي مخل وكانت صدمة البوليس أن الرجل الذي أمامهم هو إسماعيل صدقي باشا وزير الأوقاف وقتها!! فتركوه طبعاً واقتادوا المرأة ظناً منهم أنها من بنات الهوى لكن المفاجأة أنها ابنة يحي باشا إبراهيم السياسي الكبير ورئيس الوزراء فيما بعد فتم التكتم على الأمر لكن المرأة لم تتحمل الفضيحة فانتحرت ولأن صدقي باشا رجل واجب من الطراز الأول حضر جنازتها وقدم العزاء لأبيها!.

الواضح أن هذه الحادثة كانت درساً لصدقي في اعتزال الشقاوة مع بنات مصر وأن تكون المغامرات مع نساء غير مصريات ومنهن كونتيسة حسناء من أصل لبناني قيل أنشأ من أجلها أحد أشهر مشروعاته كورنيش الإسكندرية هذا المشروع ارتبطت به شائعات أخرى من أن صدقي تقاضى رشوة قدرها ربع مليون جنيه من المقاول الإيطالي وانتمارو مقابل ترسية المشروع عليه!

الواضح أن صدقي في أواخر حياته قد سئم حياة المغامرات وقرر العيش بسلام فتزوج سراً من سونيا كريمة خليل شاهين بك والتي يكبرها بأربعين عاماً وبقي سراً حتى توفيت زوجته الأولى وأم أولاده.

حرب فلسطين:

بعد هجمات العصابات الصهيونية على فلسطين وقرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين كان الرأي العام العربي يصب في اتجاه التدخل المسلح ضد العصابات الصهيونية وكان على رأس الوزارة محمود فهمي النقراشي لكن صدقي باشا كان الوحيد الذي شذ على هذا الإجماع ورفض مشاركة مصر في هذه الحرب وكانت أسبابه المعلنة هي عدم استعداد الجيش المصري للقتال لكن بعض الباحثين يرجعون الأسباب إلى عهد حكومة صدقي عام**1946** وأن صدقي كان على استعداد لقبول الهجرة اليهودية وخطة التقسيم في مقابل استثمار الثقل اليهودي لإنجاح مفاوضات صدقي -بيفن الهادفة للجلاء وأن لقاء جمع صدقي وإلياهو ساسون ممثل الوكالة اليهودية في فلسطين في حضور الحاخام ناحوم أفندي نوقش فيه ذلك لكن لا توجد وثائق تثبت هذا اللقاء وإذا ما أخذ مأخذ الجد لدى الجانبين.

لقد كان صدقي باشا شخصية شديدة الثراء بتناقضاتها الشديدة وسيبقى مادة خصبة للدراسة والبحث.

****



الحكاية السادسة

معركة الخلافة

مقدمة:

مع سقوط الخلافة العثمانية عام **1922** وقيام الدولة التركية الحديثة برئاسة مصطفى كمال أتاتورك عام **1923** أصبح العالم الإسلامي لأول مرة منذ عقود بلا خليفة. كانت العيون تتجه لاعادة مشروع الخلافة مرة أخرى وكان الملك فؤاد يحلم بهذه الزعامة التي سوف تزيد من رصيده وتوسع من دائره حكمه ونفوذه ليكون العالم الإسلامي بأسره مملكته ويحقق ما حلم به جده الأكبر محمد علي باشا وأطاحت به هزائمه أمام الباب العالي في النهاية.

لكن الأمر لم يكن بهذه السهولة فالمنافسين كثر ومنهم ملك الأفغان أمان الله خان وملك الحجاز الشريف حسين بن علي والكل يرى نفسه الأحق بتركة الخلافة.

استخدم الملك فؤاد علماء الدين في الترويج لحلمه وكانت الدعوة لمؤتمر يعقد بالقاهرة برئاسة شيخ الأزهر للبحث في مسألة الخلافة عام **1924**

لكن سعد زغلول رئيس الوزراء وقتئذ تصدى للفكرة مدعوماً من الأحزاب السياسية التي اجتمعت حول عدم دستورية تولي الملك مع ملك مصر أمور دولة أخرى بدون موافقة البرلمان.

الكتاب المفاجأة:

صدور كتاب عام **1925** لعالم أزهري هو الشيخ علي عبد الرازق يحمل عنوان "الإسلام وأصول الحكم" أطاح بكل هذه الأحلام.

تضمن الكتاب أن الخلافة لا أصل لها من الدين فالقرآن الكريم تنزه عن ذكرها والسنة أهملتها والإجماع لم ينعقد عليها وبالتالي فلا إلزام ديني بها وإنما هي مسألة دنيوية ويقول في ذلك: "الخلافة ليست في شيء من الخطط الدينية، كلا ولا القضاء ولا غيرهما من وظائف الحكم ومراكز الدولة. وإنما تلك كلها خطط سياسية صرفة، لا شأن للدين بها، فهو لم يعرفها ولم ينكرها، ولا أمر بها ولا نهى عنها، وإنما تركها لنرجع فيها إلى أحكام العقل وتجارب الأمم وقواعد السياسة" ويضيف: "وكل ما جرى في أحاديث الرسول الكريم من ذكر الإمامة والخلافة والبيعة إلخ لا يدل على شيء أكثر مما دل عليه المسيح حينما ذكر بعض الأحكام الشرعية عن حكومة قيصر" فمقولة المسيح أن يعطى ما لقيصر لقيصر لا تعني اعترافاً منه أن الحكومة القيصرية من شريعة الله. كما يخلص إلى واقع هذه التجربة المسماة

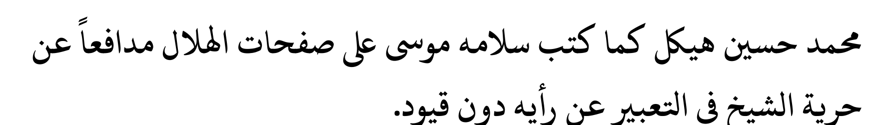
الخلافة ونتائجها المريرة وما تنطوي عليه من ظلم واستبداد وعنف فيقول: "وإذا كان في هذه الحياة شيء يدفع المرء إلى الاستبداد والظلم، ويسهل عليه العدوان والبغي، فذلك هو مقام الخلافة، وقد رأيت أنه أشهى ما تتعلق به النفوس، وأهم ما تغار عليه، وإذا اجتمع الحب البالغ والغيرة الشديدة وأمدتها القوة البالغة، فلا شيء إلا العسف ولا حكم إلا السيف". من الناحية النظرية الخلافة تقوم على أساس البيعة الاختيارية ورغبة ورضا أهل العقد والحل من المسلمين لكن في واقع الأمر فالغلبة والقوة المسلحة دائماً هما عماد الخلافة ولا يكاد التاريخ الإسلامي يعرف خليفة إلا عليه خارج ويؤكد على أن معارضة المسلمين للخلافة نشأت إذ نشأت الخلافة نفسها وبقيت ببقائها.

ويمضي في التحذير منها: "فليس بنا حاجة إلى تلك الخلافة لأمور ديننا ولا لأمور دنيانا، ولو شئنا لقلنا أكثر من ذلك، فإنما كانت الخلافة ولم تزل نكبة على الإسلام والمسلمين وينبوع شر وفساد". ويؤكد الشيخ علي أن ولاية النبي صلى الله عليه وسلم كانت روحية وليست سياسية، وذلك في معرض تفرقته بين ولاية الرسول وولاية الحاكم فيقول: "ولاية الرسول على قومه ولاية روحية منشؤها إيمان القلب وخضوعه خضوعاً صادقاً تاماً يتبعه خضوع الجسم، وولاية الحاكم ولاية مادية تعتمد إخضاع الجسم من غير أن يكون لها بالقلوب اتصال".

ويوضح بجلاء مهمة النبي الروحية التي نص عليها القرآن بقوله: "القرآن كما رأيت، صريح في أنّ محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن إلا رسولاً قد خلت من قبله الرسل، ثم هو بعد ذلك صريح في أنه عليه الصلاة والسلام لم يكن من عمله شيء غير إبلاغ رسالة الله تعالى إلى الناس، وأنه لم يكلف شيئاً غير ذلك البلاغ وليس عليه أن يأخذ الناس بما جاءهم به، ولا أن يحملهم عليه". ويدعم مقصده أكثر بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخلف حاكماً بعده وأن بيعة أبي بكر كانت بيعة سياسية ملكية فكان هو أول ملك في الإسلام وأن الخلاف الذي سبقها بين المهاجرين والأنصار كان خلافاً في أمر من أمور الدنيا ولم يزعم أحد منهم أن إمارة المسلمين مقاماً دينياً، والخروج عليه خروج عن الدين وأن لقب الخليفة الذي حمله أبو بكر كان خليفة رسول الله وليس خليفة الله، وبالتالي فسلطة الخلفاءِ الراشدين كانت مدنية وسياسية ولا علاقة له بفكرة الدولة الدينية وأن السلاطين قد حادوا وأوهموا الناس أنهم خلفاء الله في أرضه وظله الممدود على عباده لحماية عروشهم.

التداعيات:

أحدث الكتاب دوياً عظيماً في الأوساط الثقافية والدينية وتحركت قوى ليبرالية تعاضده في مقدمتها حزب الأحرار الدستوريين ومن أهم أقطابه



محمد حسين هيكل كما كتب سلامه موسى على صفحات الهلال مدافعاً عن حرية الشيخ في التعبير عن رأيه دون قيود.

الغريب أن سعد زغلول باشا والذي لم يتبن فكرة الخلافة وقف من الكتاب موقف المهاجم واتهم الشيخ بالجهل بقواعد دينه بل بالبسيط من نظريته.

أما التيار الديني فتصدى للكتاب بكتابات موازية فكتب الإمام الأكبر محمد الخضر حسين كتاب "نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم" وكذلك مفتي الديار المصرية محمد بخيت المطيعي كتاب "حقيقة الإسلام وأصول الحكم" وعبد الرازق السنهوري كتابه "أصول الحكم في الإسلام".

أما موقف الأزهر فقد كان واضحاً وهو رفض ما ورد بالكتاب جملة وتفصيلاً كما اجتمعت هيئة كبار العلماء برئاسة شيخ الأزهر محمد أبو الفضل وقررت نزع شهادة العالمية من الشيخ علي عبد الرازق ومحو اسمه من سجلات الجامع الأزهر وطرده من كل وظيفة دينية وغير دينية لعدم أهليته. ونظراً لأن الكتاب لا يخرج عن كونه بحثاً علمياً واجتهاداً لم يتعرض للنبي عليه الصلاة والسلام والرسالة المحمدية بسوء أو انتقاص فحينما بعث القرار لعبد العزيز باشا فهمي وزير العدل رفض القرار واستقال اعتراضاً ومؤازرة للشيخ.



مؤتمر الخلافة:

انعقد المؤتمر الإسلامي العام للخلافة بمصر بدار المعاهد الدينية التابعة للجامع الأزهر بالحلمية الجديدة في مايو **1926** برئاسة شيخ الأزهر الشيخ محمد أبي الفضل وبعد عاصفة من الخلافات بين الحضور وقد بدا هزيلاً وغير ممثلا لكافة دول العالم الإسلامي جاء قرار المؤتمر نقلاً عن مجلة المنار التابعة للشيخ محمد رشيد رضا: "ظهر جلياً مما تقدم أن إقامة الخلافة في مثل هذه الأحوال والظروف التي وصفناها أمر متعذر إن لم يكن في حكم المستحيل من الوجهة العملية وهذا يستتبع حتماً استبعاد فكرة النظر في تنصيب إمام أو خليفة للمسلمين الآن لأن إقامة خليفة في الوقت الحاضر على ما هي عليه الأمم الإسلامية لا يحل مشكلة الخلافة بل من شأنه أن يزيدها تعقيداً على تعقيد" وأوصى المؤتمر بعقد مؤتمرات متوالية.

الحقيقة أن المؤتمر جاء مكملاً للكتاب ففيما فند الشيخ علي فكرة الخلافة وفسادها فكان المؤتمر كاشفاً عن إخفاق الخلافة من الناحية التطبيقية والعملية.

مؤلف الكتاب الحقيقي:

وعلى الرغم من مرور كل هذه السنوات لازال الكتاب مثيراً للجدل وآخره ما أشيع حول نسبة الكتاب لطه حسين وهو أمر لا يقبله العقل والمنطق فهل

كان طه حسين يخشى الرأي العام فيختفي بكتاباته خلف غيره؟ والدليل هو كتابه الشعر الجاهلي الذي أثار أزمة لا تقل عن أزمة الشيخ علي بعدها بسنة واحدة.

****



الحكاية السابعة

المفكر المستنير

مقدمة

في مقال علمي لتوم ستافورد بعنوان: هل الإنسان عادل بطبعه؟ على شبكة البي بي سي عام **2015** استعرض تجربة أجراها فرانس دي وال، أستاذ سلوك الكائنات المنتمية لرتبة الرئيسيات بجامعة إيموري الأمريكية على اثنين من القردة تضمنت التمييز بينهما.

كانت القرود على استعداد لتسليم حجر بعد حجر إذا حصلت في المقابل على مكافأة شرائح الخيار. لكن قرود الكبوشي "تشبه في غطاء رأسها ناسكي الأديرة" تفضل حبات العنب على شرائح الخيار فعندما أعطى الباحث حبات العنب لأحد القردين مقابل تسليمه الأحجار فثارت ثائرة القرد الآخر في القفص المجاور لهذا التمييز ورفض قبول الخيار مجدداً بعدما كان سعيداً به في الماضي.

هذا الضيم قد رفضته القرود فما بال الإنسان أكرم مخلوقات الله؟!

أما وقد طرحنا هذا السؤال فلنا من التاريخ حكاية هي خير إجابة لهذا السؤال؟

حكاية رجل بمفرده واجه دولة بأكملها

حكاية الكواكبي:

عبد الرحمن الكواكبي مفكر إسلامي سوري تصدى بقلمه وكتاباته لجبروت وجور الخلافة العثمانية التي أضعفت العالم الإسلامي ونشرت به الجهل والتخلف والاستبداد.

كان الكواكبي يتطلع للحرية وينشد العدالة ويرى أن الداء العضال الذي ينخر في جسد هذه الأمة هو الاستبداد والذي تمثله دولة عنصرية هي الدولة العثمانية؛ فأصدر في بدايات حياته صحيفة الشهباء في حلب عام **1877** وبعد إصدار عدة أعداد منها نقد فيها الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية بسوريا في ظل الحكم العثماني الجائر بشكل لاذع تم إغلاق الجريدة لكن ذلك لم يفت في عضد الكواكبي فواصل هجومه الضاري على صفحات جريدة اعتدال التي أسسها عام **1879.**

وحتى نتأكد من صفاء نية الرجل ونزاهة مقصده فقد تقلد في بلاده حلب مناصبَ مرموقة، منها عضو في لجنتي المالية والمعارف العمومية ورئيس فخري للجنة الأشغال العامة ثم رئيس لبلدية حلب وعرف عنه مكافحته للرشوة وحبه للإصلاح كما تولى إدارة المطبعة الخاصة بها وهو مسار

وظيفي لو استمر به وطاوع نفسه في لحظات السكون بالتماس السلامة والانضمام في صفوف المتملقين لأصبح له شأن آخر في ولايته وتربع على قمم الحكم والإدارة بها ولكنها مشكلة المفكر المستنير الذي يتمرد على الدعة والاستكانة ويختار الطريق الوعر ولو كان محفوفاً بالمخاطر وغالباً ما يدفع حياته ثمناً له ويبدع الكواكبي حينما يتحدث عن ذلك بقوله: "إن الهرب من الموت موت وطلب الموت حياة".

مع تفاقم حدة الصراع بين الكواكبي الذي أطلق على نفسه اسماً مستعاراً هو السيد الفراتي وبين الدولة العثمانية قرر الرحيل إلى مصر والتي وجد بها مناخاً أفضل للانطلاق في كتاباته حيث كانت مصر في ذلك الوقت بعيدة عن السيادة العثمانية ولكنها ترزح تحت نير احتلال آخر هو الاحتلال الإنجليزي.

وبنظرة المفكر المستنير المدقق الذي لابد وأن يتأكد من صحة فرضياته وشمولها عبر ممارسة التجربة فانطلق في رحلة عام **1901** استغرقت ستة أشهر زار فيها أفريقيا والحبشة وسلطنة هرر والصومال والهند وجاوة وسواحل الصين الجنوبية وكان ينتوي زيارة بلاد المغرب لكن القدر لم يمهله.



مؤلفات الكواكبي ضد العثمانيين:

أشهر هذه المؤلفات هو كتابه "طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد" والذي يشخص فيه الكواكبي ويشرح بمشرطه الإصلاحي داء الاستبداد.

يتحدث الكواكبي عن أسوء أنواع الاستبداد بقوله: "من أقبح أنواع الاستبداد استبداد الجهل على العلم، واستبداد النفس على العقل، ويسمى استبداد المرء على نفسه، وذلك أن الله جلت نعمه خلق الإنسان حراً قائده العقل، ففكر وأبى إلا أن يكون عبداً قائده الجهل. خلقه وسخر له أماً وأباً بأوده إلى أن يبلغ أشُده، ثم جعل له الأرض أماً والعمل أباً، فكفر وما رضي إلا أن تكون أمته أمه وحاكمه أباه. خلق له إدراكاً ليهتدي إلى معاشه ويتقي مهلكه، وعينين ليبصر، ورجلين ليسعى، ويدين ليعمل، ولساناً ليكون ترجماناً عن ضميره، فكفر وما أحب إلا أن يكون كالأبله الأعمى".

ويرى أن الاستبداد دائماً ما يسخر الدين لخدمة أغراضه وأهدافه كما يتحدث عن القاعدة العثمانية "فرق تسد" وهنا يتجاوز نقده العثمانيين للإنجليز أيضاً فيقول: "ما من مستبد سياسي إلى الآن إلا ويتخذ له صفة قدسية يشارك بها الله أو تعطيه مقاماً ذا علاقة مع الله. ولا أقل من أن يتخذ بطانة من خدمة الدين يعينونه على ظلم الناس باسم الله، وأقل ما يعنون به الاستبداد تفريق الأمم إلى مذاهب وشيع متعادية تقاوم بعضها بعضاً فتتهاتر قوة الأمة ويذهب ريحها فيخلو الجو للاستبداد ليبيض ويفرخ، وهذه سياسة الإنجليز في المستعمرات لا يؤيدها شيء مثل انقسام

الأهالي على أنفسهم وإفنائهم بأسهم بينهم بسبب اختلافهم في الأديان والمذاهب".

كما يرى أنّ عدو الاستبداد هو العلم، فللعلم سلطانٌ أقوى من كل سلطان والمستبد لا يحب أن يرى العالم العاقل المتفوق عليه فكراً وإذا اضطرته الظروف فيختار الغبي المتصاغر المتملق مستشهداً بمقولة لابن خلدون "فاز المتملقون".

كما يصور الحرب الدائمة بين العلماء والمستبد على استقطاب العوام من الناس فيقول:

"بين الاستبداد والعلم حرباً دائمة وطراداً مستمراً: يسعى العلماء في تنوير العقول ويجتهد المستبد في إطفاء نورها، والطرفان يتجاذبان العوام. ومن هم العوام؟ هم أولئك الذين إذا جهلوا خافوا، وإذا خافوا استسلموا، كما أنهم هم الذين متى علموا قالوا ومتى قالوا فعلوا".

ويعرف الكواكبي العوام بقوله: "العوام هم قوّة المستبد وقوته. بهم عليهم يصول ويطول؛ يأسرهم، فيتهللون لشوكته؛ ويغصب أموالهم، فيحمدونه على إبقائه حياتهم؛ ويهينهم فيثنون على رفعته؛ ويغري بعضهم على بعض، فيفتخرون بسياسته؛ وإذا أسرف في أموالهم، يقولون كريم؛ وإذا قتل منهم ولم يمثل، يعتبرونه رحيماً؛ ويسوقهم إلى خطر الموت، فيطيعونه حذر التوبيخ؛ وإن نقم عليه منهم بعض الأُباة قاتلهم كأنهم بغاة".

ويتحدث عن العلاقة التي تربط المستبد بالفقراء والأغنياء فيقول:

"ومن طبائع الاستبداد أنّ الأغنياء أعداؤه فكراً وأوتاده عملاً، فهم ربائط المستبد يذلهم فيئنون، ويستدرهم فيحنون، ولهذا يرسخ الذل في الأمم التي يكثر أغنياؤها. أما الفقراء فيخافهم المستبد خوف النعجة من الذئاب، ويتحبب إليهم ببعض الأعمال التي ظاهرها الرأفة، يقصد بذلك أن يغصب أيضاً قلوبهم التي لا يملكون غيرها. والفقراء كذلك يخافونه خوف دناءة ونذالة، خوف البُغاث من العُقاب، فهم لا يجسرون على الافتكار فضلاً عن الإنكار، كأنهم يتوهمون أن داخل رؤوسهم جواسيس عليهم. وقد يبلغ فساد الأخلاق في الفقراء أن يسرهم فعلاً رضاء المستبد عنهم بأي وجه كان رضاؤه".

ثم يمضي الكواكبي في الحديث عن أثر الاستبداد على الأخلاق والتربية والترقي فيقول:

"أقل ما يؤثره الاستبداد في أخلاق الناس، أنه يرغم حتى الأخيار منهم على ألفة الرياء والنفاق ولبئس السيئتان".

ثم يضع الكواكبي في مبحثه الأخير خطة للقضاء على الاستبداد عبر التأكد من فهم القضية واتباع التدرج والتأكد من وجود البديل وكأنما كان يشعر أن الخلافة العثمانية على وشك التداعي وأن أيامها على وشك الانقضاء.

فيقول:

"١" الأمة التي لا يشعر كلها أو أكثرها بآلام الاستبداد لا تستحق الحرية.

"٢" الاستبداد لا يقاوم بالشدة إنما يقاوم باللين والتدرج.

"٣" يجب قبل مقاومة الاستبداد تهيئة ماذا يستبدل به الاستبداد.
أما في كتابه "أم القرى" يستكمل الكواكبي بحثه بشيء من الوضوح والتخصيص فيطرح البديل للخلافة العثمانية بإقامة خلافة عربية وفصل العلماء عن مؤسسة الحكم وبريشة المفكر الحالم راح الكواكبي يتخيل نفسه في مؤتمر إسلامي منعقد في مكة المكرمة وسط جمع من مندوبي العالم الإسلامي فهذا الفاضل الشامي وذاك البليغ المقدسي والكامل الإسكندري والعلّامة المصري والمحدث اليمني وغيرهم ولم ينسَ مقاعد المرشد الفارسي والعيد الإنجليزي والصاحب الهندي والإمام الصيني وغيرهم فيما احتفظ لنفسه بلقبه الشهير السيد الفراتي.
ويؤكد الكواكبي أن الدول الإسلامية قد استعربت لغتها إلا الدولة العثمانية ويعلل ذلك بكراهية العثمانيين للعرب ونظرتهم الفوقية تجاههم فيقول: "فلم يشذ في هذا الباب "الاستعراب" غير المغول الأتراك أي العثمانيين فإنهم بالعكس يفتخرون بمحافظتهم على غيرية رعاياهم فلم يسعوا باستتراكهم "كان ذلك قبل عصر التتريك" كما أنهم لم يقبلوا أن يستعربوا والمتأخرون منهم قبلوا أن يتفرنسوا "أي يتشبهوا بالفرنسيين" أو يتألمنوا "أي يتشبهوا بالألمان"".
ويستدل على هذه الكراهية بالتسميات التي يطلقونها على الأجناس العربية: "ولا يعقل لذلك سبب غير بغضهم الشديد للعرب كما يستدل عليه من أقوالهم التي تجري على ألسنتهم مجرى الأمثال في حق العرب كإطلاقهم على

عرب الحجاز "ديلنجي عرب" أي العرب الشحاذين وإطلاقهم على المصريين "كور فلاح" بمعنى الفلاحين الأجلاف، وتعبيرهم بلفظة "عرب" عن الرقيق وعن كل حيوان أسود، وقولهم "بيس عرب" أي عربي قذر"..
كما يرصد الانتهازية السياسية لدى العثمانيين وإعانتهم للممالك الغربية على حساب المسلمين الضعفاء فيقول: "أليس الترك قد تركوا الأندلس مبادلة وتركوا الهند مساهلة وتركوا الممالك الجسيمة الآسيوية للروس وتركوا قارة أفريقيا الإسلامية للطامعين وتركوا المداخلة في الصين كأنهم الأبعدون".

نهاية الكواكبي:
بالطبع هجوم مستمر كهذا كان مقلقاً للدولة العثمانية خاصة مع كثرة التفاف الناس حوله وإعجابهم بأفكاره ونشرها حتى قيل أنّ السلطان العثماني عبد الحميد الثاني قد ضاق بذلك ذرعاً وأمر بإنهاء حياة الرجل ظناً بذلك أنه يدفن فكره معه فدسّ للكواكبي السم في القهوة كما تزعم الرواية الشهيرة وتوفي عام **1902** تاركاً فكراً مستنيراً لا زال متدفقاً.
وكتب على قبره بيتان لحافظ إبراهيم:

هنا رجل الدنيا مهبط التقى   **هنا خير مظلوم هنا خير كاتب**
قفوا واقرؤوا أم الكتاب وسلموا   **عليه فهذا القبر قبر الكواكبي**



الحكاية الثامنة

رجل بأمة

مقدمة:

رجل من طراز نادر لا يعبأ بالواقع ولا يتوقف عنده ولا يعترف بالمستحيل تجمعت له كل خصال النبل والشرف قال عنه عبد العزيز البشري في كتابه "في المرآة": "إن هذا الرجل أمة وحده، وإنه لعبقري لا يتدلى إلى منطق الناس وأسباب تصورهم، فإن له قياسه وتقديره، وله منطقه وتفكيره، وله أسلوبه وتدبيره... فحسبه أن يشتهي الأمر فيقدره واقعاً، أمكن ذلك الأمر أو استحال".

ويسوق البشري قصة طريفة من أنه حينما فكر محمود بك رشاد في تزيين العلم المصري بصور للآثار المصرية على تنوعها وضع إلى جانبها صورة هذا الرجل موضوع حكايتنا الدكتور محجوب ثابت.

فمن هو محجوب ثابت؟

هو طبيب وبرلماني، مصري-عربي-سوداني كما يحلو له أن يطلق على نفسه لم يتزوج قط كي لا ينجب أبناءً عبيداً للإنجليز بحسب قوله لحافظ إبراهيم!! وقضى حياته راهباً في محراب القضايا الوطنية والقومية فرافق ثورة عام

1919 خطيباً مفوهاً ومتزعماً للمظاهرات وجامعاً للتبرعات لها فقد جمع خمسة عشر ألفاً من الجنيهات من أهالي قنا وجرجا لدعم الثورة وهو مبلغ ضخم بمقاييس هذا الزمان ويعكس منزلة الرجل ونزاهته وثقة الناس به كما دعا إلى تنظيم حركة العمال بمصر عام **1920** وطالب بإدخال التدريب العسكري في المدارس والجامعات. آمن بوحدة وادي النيل وكأنه ينظر بعيون ثاقبة للمستقبل وما سوف تعانيه مصر إن فقدت السودان فدافع دفاعاً مستميتاً لسنوات طويلة عن علاقة مصر بالسودان وضرورة وحدته مع مصر مذكراً في مجالسه بما قدمته مصر من تضحيات مادية وبشرية في فتوح السودان وحروبها.

كما كان يسافر إلى سوريا ولبنان وفلسطين داعياً للتحرر في وقت كان من الندرة بمكان اهتمام الساسة في مصر بمدها الحضاري والتنويري في دول الجوار العربي.

رحلة التمرد والتفرد:

كانت البداية مع اختياره لدراسة الطب في باريس وجنيف، ثم رغبته في التدريس بالجامعة المصرية والتي واجهتها تعنت واعتراض من الأستاذ الإنجليزي "كيتنغ" الذي كان يرى أن المصريين لا يصلحون لممارسة الطب لكن صاحبنا لم يكن ليستكين لهذا الواقع وبمعاونة سعد زغلول باشا

تم تعيين الدكتور محجوب أستاذاً للطب الشرعي بالجامعة ثم كبيراً لأطبائها.

وقد وهب حياته لتقديم العون للجميع دون مقابل فكانت عيادته بحي السيدة زينب والصيدلية الملحقة بها هما بيته الذي يعيش فيه يقرأ ويكتب ويعالج المرضى دون مقابل ودون موعد مسبق ويطلب الشاي لكل من يقصده.

لكن الواضح أن العيادة لم ترق لصديقه أمير الشعراء أحمد شوقي وكان كرم الضيافة الزائد بها من جانب البراغيث مدعاة لشوقي ليكتب هذه الأبيات:

بَراغيثُ مَحجوبٍ لم أنسَها ولم أنسَ ما طعِمَت من دمي

تشقُّ خَراطيمُها جَوْربي وتنفُذُ في اللحمِ والأعظُمِ

وكنتُ إذا الصيفُ راح احتَجمتُ فجاءَ الخريفُ فلم أُحجَمِ

تُرحِّبُ بالضَّيفِ فوقَ الطريق فبابِ العيادةِ فالسُّلَّمِ

سطر الدكتور محجوب اسمه بأحرف من نور إبان الحرب البلقانية الثانية عام **1913** حيث قدمت السفينة المصرية "الباخرة بحر أحمر" التي كان يشرف عليها كمستشفى تابعة لجمعية الهلال الأحمر دعماً كبيراً وشجاعاً في إجلاء ومداواة الجرحى وحفظ أرواحهم جعلته حديث الصحف العالمية.

كما لم يتخلَ محجوب عن دوره المجتمعي فكان صاحب ندوة شهيرة سميت "بعكوكة محجوب ثابت" كانت مقصداً للجميع كما انتخب رئيساً لنقابة العمال المصريين وانتخب عضواً بمجلس النواب عن دائرة كرموز بالإسكندرية حينما كان سعد زغلول رئيساً للمجلس عام **1926** وفاز في انتخاب تكميلي عام **1927** وتسجل مضابط المجلس عام **1928** دفاع محجوب عن مشاركة الحكومة المصرية في نفقات السودان بمبلغ وقدره سبعمائة وخمسون ألف جنيهاً لتأكيد السيادة المشتركة على السودان وفقاً للاتفاق بين بطرس غالي واللورد كرومر عام **1899.**

كان لمحجوب فلسفته الخاصة فهو لا يعترف مثلاً باللغة العربية كلغة الضاد ويراها لغة القاف فكان يكثر في كلامه من استخدام حرف القاف وسائر حروف القلقلة وكان يتحدث طوال الوقت باللغة العربية الفصحى مستشهداً بأبيات من الشعر غير مبالٍ مع من يتحدث؟! ولو كان ماسحَ أحذية أو خادماً. وقد تفرد في ذلك عن معاصريه ودائماً ما يختتم كلامه بعبارة: "يقيناً يا ولدي! يا ولدي".

أضفى محجوب على نفسه طابع الفارس العربي الرحالة الذي يمتطي جواداً في تحركاته ومغامراته ونظراً لأن هذا غير مألوف فقد خرجت صورته كاريكاتيرية تعكس خفة ظله ونقاء سريرته فكان يجوب شوارع القاهرة بعصاه الشهيرة وغليونه الذي يدخن منه بعربة خفيفة يقودها جواد هزيل

أضلعه بارزة أطلق عليه "مكسويني" نسبة للمناضل والمسرحي الأيرلندي "تيرينس جيمس مكسويني" والذي اعتقل لمناهضته الاحتلال الإنجليزي لبلاده ومات في سجن بريكستون عام **1920** بعدما أضرب عن الطعام **74**يوماً!!

هذه السمات الطريفة لمحجوب جعلته عالقاً في الأذهان ومثار كتابات صحفية عدة لا تنقطع عن رصد أخباره والحديث عنه وقصائد شعرية منها قول صديقه أحمد شوقي واصفاً جواده:

تفَدّيكَ يا مَكسُ الجِيادُ الصَلادِمُ

وَتَفدي الأَساةُ النُطسُ مَن أَنتَ خادِمُ

كَأَنَّكَ إِن حارَبتَ فَوقَكَ عَنتَرٌ

وَتَحتَ اِبنِ سينا أَنتَ حينَ تُسالِمُ

سَتُجزى التَماثيلَ الَّتي لَيسَ مِثلُها

إِذا جاءَ يَومٌ فيهِ تُجزى البَهائِمُ

فَإِنَّكَ شَمسٌ وَالجِيادُ كَواكِبٌ

وَإِنَّكَ دينارٌ وَهُنَّ الدَراهِمُ

راح محجوب يجابه الساخرين من جواده بتذكرتهم بدوره البطولي في حمل الجرحى إبان الثورة فيقول: «اذكر أيها التاريخ تلك العربة وذلك الجواد

مكسويني وما أدياه في الحركة الوطنية من نصرة المريض والجريح والقتيل، فقد تندر الجيل بهما وتفكه بحوادثهما وهما عنوان البطولة».

وحينما مات الجواد لقلة أكله وكثرة أسفاره مع الدكتور محجوب اعتراه الحزن الشديد عليه فقد كان بمنزلة الابن العزيز له كما وصفه وعزاه سعد باشا زغلول ومازحه وقد جمعهما اللقاء في المستشفى حينما تعرض سعد باشا لمحاولة اغتيال فاشلة عام **1924** بعد أسبوع واحد من وفاة الجواد.

اشترى محجوب سيارة عتيقة لتحل محل مكسويني لكن لم تسلم من سخرية شوقي اللاذعة هي الأخرى فيقول:

لَكُم في الخَطِّ سَيّارَه

حَديثُ الجارِ وَالجارَه

أوفرلاندُ يُنَبّيكَ

بها القُنصُلُ طَمّارَه

كَسَيّارَةِ شارلوت

عَلى السَواقِ جَبّارَه

إِذا حَرَّكَها مالَت

عَلى الجَنبَينِ مُنهارَه

وَقد تَحزُنُ أحياناً

وَتَمشي وَحدَها تارَه

ومن مظاهر تمرد الدكتور محجوب الأخرى تمرده على القيود والالتزامات وفي مقدمتها الوقت فكان دائماً ما يأتي متأخراً. ظاهرة قد تبدو سلبية في تفسير البعض لكن يمكن أن نتعرف على وجهها الآخر لدى العلم ففي دراسة لقسم الدراسات النفسية في جامعة سان دييجو عام **2018** توصلت إلى أن الذين لديهم عادة الوصول متأخرين عن موعدهم هم الأكثر سهولة في الحياة وبعداً عن الضغوط النفسية وإحساساً بالاسترخاء وراحة البال وهي سمات صاحبت صاحب حكايتنا.

ترجل الفارس:

رحل الدكتور محجوب ثابت عن عالمنا عام **1945** تاركاً إرثاً حافلاً وتاريخاً مضيئاً.

****


القسم الثاني
الدراسات

نحو أدبٍ عربي إسلامي

بين النظرية والتطبيق

Towards Arab and Islamic

literature between theory and practice

محمد فتحي عبد العال

دبلوم الدراسات العليا

من المعهد العالي للدراسات الإسلامية -مصر

dr_mfathy2005@yahoo.com



الملخص

يعد الأدب من ركائز الحضارة فهو الناقل للرؤى والقناعات والتجارب بما يعكس درجة نهوض هذه الحضارات وتطورها لذا فليس من المصادفة أن تكون الحضارة الإسلامية أكثر اهتماماً بفن الأدب شعراً ونثراً.
يشكل الأدب الإسلامي التعبير الفني الذي يحمل في طياته فلسفة الإسلام ومنظوره للحياة والكون والإنسان بما لا يجافي الثوابت والقيم الإسلامية ولقد شهدت الفترة الماضية تركيزاً على إحياء مذاهب الأدب الإسلامي وبيان خصائصه وتوظيف أدواته.

الكلمات المفتاحية: الوسطية، الواقعية، الأدب، التغريب، الحداثة.

Abstract

Literature is one of the pillars of civilization, as it is the carrier of visions, convictions and experiences that reflect the degree of the rise and development of these civilizations, so it is no coincidence that the Islamic civilization is more interested in the art of literature in poetry and prose.



Islamic literature constitutes the artistic expression that carries within it the philosophy of Islam and its perspective on life, the universe and the human being, in a way that does not contradict Islamic principles and values. The past period has witnessed a focus on reviving the doctrines of Islamic literature, showing its characteristics and employing its tools.



مصطلح الأدب عند العرب

لقد تطور مصطلح الأدب بتطور حياة العرب وتحولهم من طور البداوة إلى عنان الحضارة "ضيف، **1960**، ص **7**" فكانت في العصر الجاهلي تدل على المعنى الحسي فالآدب هو الداعي للطعام وما يرافق ذلك من صفات البشاشة والإكرام دون تمييز يقول طرفة بن العبد في أخلاق الآدب:

نحن في المشتاة ندعو الجفلى   لا ترى الآدب منا ينتقر

ومع العصر الإسلامي بدأ اللفظ يقترب من دلالته الحالية وليس هناك ما هو أدل من قول المصطفى صلى الله عليه وسلم": أدبني ربي فأحسن تأديبي" "مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه **18/ 375**" وهو من التهذيب والتعليم وأصبحت جزءاً من وصايا الخلفاء لولاة الأمصار من بعد النبي صلى الله عليه وسلم كقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في كتابه لأبي موسى الأشعري "مُرْ مَنْ قبلك بتعلم الشعر فإنه يدل على معالي الأخلاق وصواب الرأي" وظل هذا ارتباط الأدب بالتهذيب مفهوماً راسخاً في العصر الأموي وظهرت مهنة المؤدب وهو من يعلم أبناء الخلفاء والأمراء القراءة والكتابة، ثم يغدق عليهم من ضروب الثقافة والمعارف وفي سبيل تحقيق



ذلك كان ينتقي من الشعر والخطابة والحكمة والقصص القرآني والسنة المشرفة والسير والتاريخ ما يعينه على بلوغ هذه الغاية.

أما في العصر العباسي فقد تشعب المصطلح واتسعت دلالاته لتشمل الشعر والنثر وأخبار العرب "ابن خلدون، **2001**، ص **307**".

في القرن التاسع عشر استقل مصطلح الأدب وأصبح له خصوصيته ودراساته واتسعت فنونه لتشمل الرواية والقصة والمقالة وفن المسرحية والخاطرة وغيرها.



النظرية الإسلامية في الأدب

تشكل النظرية الإسلامية المعاصرة أحد أهم النظريات الأدبية والنقدية التي أطلت على المشهد الأدبي والثقافي في الفترة الأخيرة من القرن العشرين ذلك أنها استطاعت أن تفرض ذاتها بشكل مؤثر وفعال على الساحة الثقافية الأدبية والنقدية في الوقت الذي يشهد تكدساً بنظريات أدبية شتى شرقاً وغرباً كالنظرية الجمالية والنظرية الجنسية والنظرية العرقية والنظرية الجينية والنظرية المادية والنظرية البيئية وغيرها من النظريات الأدبية التي تغرق الإنسان في الأوهام والفردية والمتع المحرمة.

وتنبع عبقرية النظرية الإسلامية في اتسامها بالشمولية فهي تستند إلى ضلعين أساسيين في منظومة متكاملة الأول: هو الإيمان الرباني مما يهيئ السبيل نحو تشبث الإنسان بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وبناء التوازن بين الدنيا والآخرة والثاني: التصور الشامل للإنسان والكون من حوله.

وانطلاقاً من هذا نستطيع أن نلتمس تعريفاً جامعاً للأدب الإسلامي وهو: كل أدب ينطلق من التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان أو كل أدب يتفق مع هذا المبدأ ولا يعارضه "الأمراني، **1984**، ص**143-144**".

وقد وضعت رابطة الأدب الإسلامي بشكل رسمي تعريفاً جامعاً للأدب الإسلامي بأنه "التعبير الفني الهادف عن الإنسان والحياة والكون وفق التصور الإسلامي" والتعريف يتضمن أربعة عناصر كشريطة لاكتسابه صفة النص الأدبي الإسلامي "أبو صالح، **1989**، ص **1-5**".

العنصر الأول: التعبير الفني فالقيم الجمالية تحتل أولويات الأدب الإسلامي ومن مواضع اهتمامه عبر التاريخ.

العنصر الثاني: الهدف فالأدب الإسلامي يحض على الإلتزام العفوي النابع من إيمان الأديب المسلم وليس التزاماً قسرياً كما في الإشتراكية.

العنصر الثالث: التعبير عن الحياة والكون والإنسان فليس هناك ما يحد من إبداع الكاتب ولا يوجد موضوع إبداعي يحظر على الأديب المسلم تناوله في قصيدة أو قصة أو رواية.

العنصر الرابع: التقيد بالتصور الإسلامي الملتزم بكتاب الله وسنة رسوله فيما يخص المضمون فلا يجوز للأديب المسلم أن يتناول في أدبه الذات الإلهية والملائكة والكتب المنزلة والرسل واليوم الآخر والقدر خيره وشره إلا بما يتفق مع العقيدة الإسلامية "أبو صالح، **1989**، ص **1-5**".

إن الإرتكان إلى الإسلام في البناء الأدبي يرتفع بالإنسان ويهذبه ويسمو به روحياً وأخلاقياً وعقلياً ويجعل من الإرتقاء بالإنسانية أنشودة يعزف على أوتارها الجميع سعياً نحو الوحدة الإنسانية الروحية النقية بعيداً عن الحواجز العرقية والجنسية والوطنية.



الحاجة إلى أدب إسلامي

إن الأدب هو انعكاس لثقافة الأمم فهو يحمل في طياته خصائصها وسماتها والأمم القوية هي التي تستطيع أن تضيف إلى إرثها الأدبي المزيد من التجارب دون أن تسمح لأحد باختطاف ثقافتها وتشويهها.

وليس من المعقول أن حضارة كالحضارة الإسلامية لم تخلف وراءها إرثاً أدبياً ذا صبغة إسلامية وهي الحضارة التي حكمت الدنيا لقرون طويلة.

يعترف المستشرق الإنجليزي "هاملتون جب" بأثر الأدب العربي في الأدب الأوروبي في الماضي فيقول: "إن خير ما أسدته الآداب الإسلامية لآداب أوروبا أنها أثرت بثقافتها وفكرها العربي في شعر العصور الوسطى ونثرها" "أبو ارشيد، **1424** هـ".

أي أننا أمام مشروع إسلامي متكامل واضح المعالم والمكونات لا ينقصه سوى من يعيد بعثه من جديد ويقدمه للعالم مرة أخرى بلغة ومصطلحات تناسب لغة العصر.

في العصر الحديث شن دعاة التغريب حملة ضارية على الأدب العربي وتراث اللغة شعراً ونثراً في وقت كان العالم العربي مقسماً تحت الاستعمار وهو ما انعكس على الأدب فانقسم الأدب العربي الموحد إلى آداب شعبية فكان الأدب المصري والأدب الشامي والأدب العراقي، ثم كانت الدعوة إلى استبدال

اللغة العربية باللغة العامية، وإلى كتابتها بالأحرف اللاتينية وكانت معركة الشعر الجاهلي للنيل من الشعر الجاهلي بالكلية وهو سجل مآثر العرب وحضارتهم القديمة قبل الإسلام وقد ساعد على انتشار هذه الدعوات شعور المثقف العربي دائماً بالدونية والتطلع للغرب.

وكانت روايات جورجي زيدان والتي حملت اسم تاريخ الإسلام تغزو البيوت العربية حاملة مغالطات تاريخية عدة ومحاولة سلب العرب والمسلمين لمقومات حضارتهم وتصوير الفتوحات الإسلامية بالانتهازية.

وفي الستينات من القرن الماضي بدأ يعم أدب الغرائز شعراً ونثراً، وأصبح له رموزه والمدافعين عنه حتى وإن ضرب بعرض الحائط القيم والأخلاق وتقاليد المجتمع.

وأصبح الهوس بالتجديد والحداثة والتقليد الفج لأدباء الغرب دون اعتبار للثوابت هو السائد في هذه المراحل المبكرة.

وتتلخص المدارس الأدبية التي تم جلبها من الغرب بمناهجها الإجرائية المختلفة خلال بدايات القرن العشرين وحتى الآن على النحو التالي "العالم، **1988**، ص **77-99**":

الأولى: المدرسة الوجدانية وتشمل النظرية الرومانتيكية مثل اتجاهات مدرستي أبولو والديوان واتجاه جبران خليل جبران

الثانية: مدرسة الذوق الأدبي كما عند طه حسين ومحمد مندور

الثالثة: المدرسة النقدية الجدلية كما في كتابات سلامه موسى
الرابعة: المدرسة النقدية الوضعية والبنيوية كما في كتابات أدونيس وصلاح فضل "العالم، **1988**، ص **77-99**".

إن جذور الحداثة تنبع من التربة الوثنية الإغريقية التي تفترض صراعاً بين الإنسان والإله وأنه لا سبيل لانطلاق الإنسان ومواصلة مسيرة إبداعه إلا إذا تخلى عن هذه الفكرة. وعادة ما يغرق تيار الحداثة أسماع متابعيهم بمصطلحات غير واضحة المعالم أو منضبطة التعريف مثل مصطلح النقد الحديث والحداثة وما بعد الحداثة والرواية الجديدة والرواية الضد والرواية النفسية.

يلخص عبد الحميد إبراهيم مشكلة نقاد الحداثة في العالم العربي بقوله: "كان أمام نقاد الحداثة في العالم العربي خياران: أولهما وأولاهما: أن يبدؤوا من هذا التراث العربي الذي يحمل من الإمكانات ما يمكن أن ينطلقوا منه لتأسيس حداثة ذات جذور. والآخر والأخير: أن ينقلوا الحداثة الغربية بكل فلسفتها ونتائجها وأن يزرعوها في كتبهم تحت عناوين الحداثة والجدة وما شابه ذلك. ولم يكن بنيانهم مهيأً لتقبل الخيار الأول؛ فهو يحتاج إلى صبر وضبط وبعد عن الأضواء وعمل دون انتظار جزاء، بل ربما يقابل بفتور. أما الحل الآخر فهو يثير البريق ويغري أجهزة الإعلام ويحتل صاحبه مكانة خاصة؛ لأنه يعرضه بلغة الغالبين وبين قوم أرهقتهم عقد

المغلوبين فاختاروا الحل الأخير، ونقلوا الإطار الغربي الذي سبق أن تحدثنا عنه، دون أن يعوا ملابساته التاريخية وفلسفته الحضارية.. ولو أنهم بدؤوا من جذورهم وطوروا الإمكانات المتاحة لهم، لأمكنهم أن يصلوا إلى نظرية في الحداثة خاصة بهم وملتمسة من واقعهم ولها تطبيقاتها وتحمل ظلاً من فلسفة حضارتهم، نظرية هم أصحابها ومنتجوها ومستهلكوها، ومن حقهم أن يتيهوا بها وأن تتيه الأمة بهم. ولكنهم بدؤوا من حيث انتهى الآخرون ورددوا ما قاله الآخرون.. فكل شيء يأتي من وراء البحر نقيم له الطقوس ونتلو في معبده الأناشيد ونحرق البخور، وباختصار نحوله إلى شيء يشبه اليقين الديني " "إبراهيم، **1415** هـ، ص **5**".



الواقعية الإسلامية

تعتبر الواقعية أحد أهم سمات وركائز الأدب الإسلامي. لقد جسد أدب نجيب الكيلاني الواقعية الإسلامية والتي مع انتقادها للواقع فهي تخرج من مشكاة التصور الإسلامي الذي ينبذ الصراع الطبقي ويؤكد على الأمل في نصر الله في الحياة أو بعد الممات والتصور الإسلامي يرفض قصر الخير والشر على انتماء طبقي بعينه وإنما يرجعه إلى الإرادة الفردية والاختيار وذلك على خلاف المذهب الاشتراكي مثلاً والذي يوجه سهام نقده للطبقة البرجوازية لأنها عماد الظلم للطبقات الدنيا كما أن الواقعية الإسلامية تحقق الغاية الخلقية للإبداع الأدبي والتي تتضمن التعبير عن هموم المقهورين والمستضعفين من عامة الناس وقد عبر عن ذلك أدب الكيلاني في تسليطه الضوء على الفلاحين في القرية المصرية "القاعود ، **2005**".

يعد دخول الكيلاني نقله في مجال الواقعية الإسلامية في الرواية فهو يواجه المجتمع بقضاياه الكبرى مواجهة فعالة مستخدماً أسلوباً أدبياً راقياً ومترفعاً عن القضايا المبتذلة والدنيئة "القاعود، **2005**" فالأدب من أكبر الوسائل إلى الأهداف النبيلة وللتأثير في النفس البشرية كما أنه قوة فاعلة



مغيرة إلى الأفضل وإلا فماذا تكون وظيفته إذن؟ "الكيلاني، **1987**، ص **57**".

فكان يزود عن قضايا أمته العربية والإسلامية في فلسطين وروايته "عمر يظهر في القدس"، ومع نيجيريا في روايته "عمالقة الشمال" ومع أثيوبيا في روايته "الظل الأسود"، ومع دمشق في روايتيه "دم لفطير صهيون"، و"على أسوار دمشق"، ومع إندونيسيا في "عذراء جاكرتا"، وتركستان في "ليالي تركستان" والتي تنبأ فيها بحسه الاستشرافي بسقوط الشيوعية قبلها بسنوات عديدة.

لم تقتصر جهود الكيلاني على الجانب الواقعي في الرواية بل تعداه إلى التعريف بمفهوم الأدب الأسلامي وأبعاده في كتابيه: الإسلامية والمذاهب الأدبية وكتاب مدخل إلى الأدب الإسلامية "القاعود، **2005**".



مذهب الوسطية في الأدب

لقد دعا الدكتور عبد الحميد إبراهيم إلى انتهاج المذهب الوسطى في الحياة الثقافية وتحديداً عام **1979** حينما أصدر الجزء الأول من الوسطية بعنوان المذهب وحمل الكتاب إهداءً إلى النبي صلى الله عليه وسلم أول من بعث عبقرية الصحراء وإلى الرجل الذي سوف يأتي ليكمل الطريق.

والوسطية هي مفتاح شخصية الإنسان العربي فهي تجمع الشيئين معاً ولو كانا متناقضين ويضرب على ذلك مثالاً بشاعر الجاهلية عنترة بن شداد الذي جمع في جوفه التطرف في الحب والتطرف في العنف وهي الصورة الأولى التي يمنحها المكان "الصحراء" وقد جاء الإسلام ليهذب هذه الصورة الأولى ويعدل من تطرف المكان "إبراهيم، **1422** هـ".

لذا فالوسطية تسعى إلى الموازنة بين الخاص والعام كما تجمع بين الإسلام والعروبة وهي بذلك حياة يعيشها الإنسان وليست من قبيل النظريات.

والوسطية هي جوهر الإسلام في حد ذاته وحينما نزلت آية الوسطية قال تعالى: "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً" البقرة.**143** إنما جاءت في أول سورة نزلت في المدينة وهذا يعني أن المجتمع الإسلامي في تنظيمه الأساسي يقوم على فكرة

الوسطية كركن وأيديولوجيا أساسية وقد ارتبطت فكرة الوسطية في هذه الآية بالتحول إلى قبلة جديدة وهي المسجد الحرام بدل التوجه إلى بيت المقدس وهذا يعني أن الوسطية تمثل خصوصية الدين الجديد الذي جاء مميزاً عن الديانتين السابقتين وهما النصرانية واليهودية "إبراهيم، **1422** هـ" فالوسطية إذاً ليست مجرد سرد لمواقف تطبيقية كما يفعل علماء الدين وخطباء المساجد ولكنها فوق ذلك رؤية ثقافية تنطلق من منطلقات تاريخية وجغرافية "إبراهيم، **1422** هـ".

والوسطية العربية تختلف عن وسطية أرسطو فوسطية أرسطو قامت على منطق خاص صادر من عقل فيلسوف فهي تقوم على العقل والفلسفة لهذا انحصرت منزلته عند الخاصة من المفكرين والفلاسفة أما وسطية الإسلام فتقوم على تراث ديني رصين يوازن بين العقل والنقل أنتج حضارة عربية إسلامية.

يفرق الدكتور عبد الحميد إبراهيم بين الوسطية العربية ووسطية "أرسطو" بقوله: "أما وسطية أرسطو فتكاد تصل إلى حد التضاد مع الوسطية العربية، إن مفتاح الوسطية العربية والذي لحظناه في عبارة "تجاور الشيئين مع تمايزها" لا يتحقق هنا، فوسطية "أرسطو" لا تقوم على التمايز بين الشيئين، ومراعاتهما معاً، والموازنة بينهما ليتكون منهما في النهاية شيء ثالث، يلغيهما أو يقف بدلاً عنهما" "إبراهيم، **1990**".

ويقترب أكثر من مفهوم الوسطية العربية وتحقيقها للتوازن وبعدها عن التطرف والغلو فالوسطية تعترف بالصراع بين المضادات داخل المرء ولكنها تجمع وتجاور بين الشيئين. كما يقتضي الحتم الجغرافي، ثم تحاول أن "توازن" وتعادل بين الشيئين فيتعايشان متجاورين ومتماسين، وعلى المرء أن يكون دائماً في حذر، حتى لا يقع في التطرف، إنها وسطية تتميز بالواقعية، والقرب من طبيعة الإنسان" "إبراهيم، **1990**".

وللعقل منزلته ومكانته الطبيعية في هذه الوسطية فالوسطية تستدعيه بشدة وتدعو إلى استثماره "القاعود، **2020**، ص**81-90**".

وتنبع أهمية الوسطية في كونها مستمدة من الواقع ومستمدة مصطلحاتها الخاصة التي تعبر عن الهوية العربية الإسلامية فالحكمة بديلاً عن الفلسفة والوحدة التركيبية بديلاً عن الوحدة العضوية ومفهوم السكينة بدلاً من البقاء للأصلح والدفع بين الناس بدلاً من الصراع الطبقي وعناية الله التي تحكم التاريخ بدلاً من حتمية التاريخ "القاعود، **2020**، ص**81-90**".

ويتحدث الدكتور عبد الحميد إبراهيم عن ذلك بقوله: "إن الإسلام لم ينزل لاغياً للتكوين العربي، بل استثار أفضل ما فيه ووضعه في إطار عقائدي منظم فعمد إلى فكرة الوسطية، والتي هي نبت عربي طبيعي وأضاف إليها عنصر الضبط والربط " "إبراهيم، **1990**".

ويرى الدكتور عبد الحميد إبراهيم أن جمال الغيطاني هو أقرب الروائيين العرب تجسيداً وتعبيراً عن الحضارة العربية الإسلامية وجوهرها "إبراهيم، **1991**، ص**405-406**"

****



خاتمة

لا شك أن الواقعية والوسطية الإسلامية هما الأنسب لمجتمعاتنا العربية والإسلامية، لو طبقتا وفق المعايير الصحيحة المنبثقة من حضارتنا وتراثنا التليد فتفعيلهما كفيل أن يقي المجتمع من الشطحات الفكرية والأدبية التي ينقلها إلينا كثير من الأدباء والنقاد تأثرا بالغرب ودون النظر إذا ما كانت تناسب مجتمعاتنا أم لا؟!

****



النحو الواضح

مقدمة:

يعتبر النحو ركناً أساسياً في اللغة فهو بمنزلة القلب من الجسد وهو الدستور الذي يسري عليه الجميع ونحتكم إليه حينما نختلف ولما كانت الدساتير عرضة للتطوير والتحديث بما يسهل على الأمم فهم حقوقها وواجباتها فالأمر نفسه بالنسبة للنحو والذي أصبح علماً شاقاً على متحدثي العربية وأصبحت الكتب تعج بالأخطاء النحوية لعدم سهولة الإلمام بقواعده فتحول أعداد كبيرة إلى الكتابة بالعامية كبديل للفصحى وهذا اتجاه لا ينبغي إغفاله وغض البصر عن اتساع رقعته في الفترة الأخيرة وربما يفصلنا وقت قصير عن أن تصبح القاعدة هي الكتابة بالعامية والاستثناء هو الفصحى فأيهما أهون؟ أن نتحول إلى العامية أم نطور النحو؟!!.

في محاضرة ألقاها الدكتور طه حسين بعنوان: اللغة الفصحى وتعليم الشعب عام **1956** بالجامعة السورية ونشرت في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق عام **1957** تحدث عن أن طريقة تعليم اللغة العربية في مدارسنا ومعاهدنا تشبه الطريقة التي كان يعلم بها الأقدمون منذ أكثر من ألف عام في مساجد البصرة والكوفة والفرق هائل بين زمان وآخر.

ويضيف الدكتور طه حسين أنه قد سأل معلمي النحو قائلاً: "إذا أردتم أن تعلموا النحو هؤلاء التلاميذ المساكين فكيف تريدونهم على أن يفهموا أن قولك «قُرئ الكتاب» فعل مبني للمجهول، والكتاب نائب عن الفاعل، لأن الفاعل قد حذف لغرض من الأغراض التي تذكر في علم المعاني، وعلم النحو، وأنيب عنه المفعول به؟ كيف تريد التلميذ المصري أو الشامي أو العراقي الذي لم يتجاوز سنه الثانية عشرة أن يفهم هذا الكلام؟ ما هذا الفاعل الذي حذف؟ ما هذا المفعول الذي أنيب عنه؟ ما هذا المجهول الذي بني له الفعل؟".

الحقيقة أننا اليوم أحوج ما نكون لهذا التساؤل في ظل التقدم التكنولوجي الهائل والذي لا يواكبه تطور في المادة الدراسية المقدمة والتي لابد وأن يستوعبها ويفهمها الطالب لا أن يحفظها ويرددها عن ظهر قلب لا لسبب سوى أن هكذا قال القدماء!!.

بالطبع ليس الهدف من هذه الدعوات القديمة والحديثة هو إقصاء القديم وهجره بقدر ما هو التيسير على الطلبة وحفظ هذا التراث للمختصين والباحثين.



إحياء النحو:

كتاب كتبه عام **1937** سيبويه الجديد الأستاذ إبراهيم مصطفى وكتب مقدمته مقرظاً الدكتور طه حسين وقبل أن نستعرض الكتاب الذي أحدث ضجة كبيرة في الأوساط الأدبية لابد وأن نتعرف عن قرب على الأستاذ إبراهيم مصطفى ولماذا أطلق عليه سيبويه الجديد؟ هو عالم لغوي مصري بدأ تعليمه بالأزهر الشريف، ثم التحق بدار العلوم العليا وقد أطلق عليه أستاذه سلطان بك محمد لقب سيبويه الصغير لنبوغه وتفوقه في النحو. عمل في البداية مدرّساً بالجمعية الخيرية الإسلامية ثم ناظراً لها ثم عمل مدرّساً للغة العربية بكلية الآداب بالجامعة المصرية ثم أستاذاً للنحو بها ثم أصبح عميداً لكلية دار العلوم كما انتخب بعضوية مجمع اللغة العربية وأشرف على صدور المجمع الوسيط. مؤهلات كهذه تجعلنا أمام شخصية مؤهلة وبجدارة لتحمل شعلة التنوير في أحد أهم فروع اللغة العربية ألا وهو النحو.

رأى الأستاذ إبراهيم أن إشكالية النحو تنبع من هذه النظرية المعقدة المسماة العامل والتي أصبح كل النحو في خدمتها مهملين في المقابل أن علامات الإعراب دوال على معان في تأليف الجمل وربط الكلم.

وحتى نفهم مقصده فلابد وأن نبسط مفهوم العامل والذي لا يوجد تعريف معين له يتفق عليه النحاة مما يضفي عليه الغموض والإرباك.

تتلخص النظرية في أنّ التغير في أواخر الكلمات حدث بسبب عامل هو الذي أوجد هذا التغير، وكلما اختلف العامل اختلف الإعراب، فالعامل هو ما يؤثر في اللفظة تأثيراً ينشأ عنه علامة إعرابية ترمز إلى معنى خاص. مثال على ذلك وهو للإيضاح نقلاً عن محاضرة الإعراب والعامل النحوي بشبكة جامعة بابل:

"جاء زيدٌ، رأيت زيداً، مررت بزيدٍ؛ فكلمة "زيدٌ" آخره يتغير تارة يكون مرفوعاً وأخرى منصوباً وثالثة مجروراً، فلا بد من وجود سبب "عامل" اقتضى أن يكون الاسم مرفوعاً في الجملة الأولى، ثم منصوباً في الثانية، ثم مجروراً في الثالثة. ففي الجملة الأولى نلاحظ أن دلالة الفعل "جاء" تستدعي فاعلاً يقوم بفعل "المجيء" فجاءت كلمة "زيدٌ" لتحمل هذه الدلالة فأعطيت الضمة، فالضمة أثر حصل بسبب الفعل "جاء"؛ لأنّ معنى الفعل هو الذي اقتضى أن يكون زيدٌ فاعلاً مرفوعاً، فزيدٌ معمول، والفعل جاء عاملاً. وفي الجملة الثانية الفعل "رأيتُ" دلالته تقتضي فاعلاً يقوم بالرؤية ومفعولاً تقع عليه الرؤية، فقامت "تاء" الفاعل بالفاعلية، فبقيت كلمة زيد مفعولاً به، فالفعل رأى هو العامل الذي نصب "زيداً". أما قولنا مررت بزيد، زيد مجرور والعامل هو حرف الجر "الباء".

ويعلل الأستاذ إبراهيم اتجاه النحاة لهذه النظرية بالتأثر بالفلسفة الكلامية التي كانت شائعة بينهم، غالبة على تفكيرهم، آخذة حكم الحقائق المقررة لديهم.

ويؤكد على فساد نظرية العامل بما يسمى بالتقدير الصناعي وهو جلب كلمات لتصحح الإعراب فمثلاً في قوله تعالى: "وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ": وإن استجارك أحد من المشركين استجارك. ففي قواعد النحاة القدماء لا تأتي "إن" إلا على فعل فلما جاءت إن في القرآن وبعدها اسم فاخضعوا القرآن لقاعدتهم التي قرروها وهو ما أشار إليه دكتور طه حسين في محاضرته التي أشرنا إليها آنفاً.

دعا الأستاذ إبراهيم إلى إلغاء نظرية العامل كمفتاح لتيسير النحو والتوسع في دراسة أحكام نظم الكلام وأسرار تأليف العبارة. كما دعا إلى وجوب التوحيد بين المبتدأ والفاعل ونائب الفاعل في باب واحد هو المسند إليه وذلك لتماثلها ولأن حكمها جميعاً الرفع.

ولأن علامات الإعراب عنده هي الضمة والكسرة فقط وأن الفتحة ليست من علامات الإعراب وحجته في ذلك أن الفتحة أخف من السكون فلا تحمل دلالة ففي سبيل ذلك يرى الأستاذ إبراهيم أن اسم إنّ مرفوعا وليس منصوباً ويدلل على وروود اسم إنّ مرفوعاً من القرآن الكريم في قوله تعالى: "قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا" "طه: ٦٣" وفي الحديث الشريف: «إن من أشدِّ الناس عذابًا يوم القيامة المصوِّرون.»

علامات الإعراب عند النحاة قسمين أصلية وفرعية وفي كتاب عالمنا اللغوي البارز لا يعترف بالعلامات الفرعية أو النائبة حيث يمكن إجراء

العلامات الأصلية فيما جعلوه معرباً بالعلامات الفرعية على حد قوله ففي الأسماء الخمسة يرى أنها معربة كغيرها وإنما مدت كل حركة فنشأ عنها لينها.

مصير التطوير:

في عام **1938** وجه وزير المعارف في مصر محمد بهي الدين بركات باشا بتشكيل لجنة لدراسة وسائل تيسير قواعد النحو والصرف والبلاغة ضمت طه حسين وأحمد أمين وإبراهيم مصطفى وعلي الجارم ومحمد أبي بكر إبراهيم والتي خلصت إلى أن ما يعسر النحو ثلاثة أشياء في المادة النحوية نفسها وهي: فلسفة حملت القدماء على الإفراط في الافتراض والتعليل وإسراف في القواعد أدى إلى إسراف في الاصطلاحات وإمعان في التعمق باعد بين النحو والأدب وخرجت التوصيات بإلغاء الإعراب التقديري والمحلي لعدم الفائدة في ضبط لفظ أو تقويم لسان وبجعل المبتدأ والفاعل ونائب الفاعل في باب واحد أسمته المسند إليه وإلغاء الضمير المستتر وجوباً وجوازاً.

الغريب أن توصيات اللجنة لم تفعل وبقيت حبراً على ورق والأغرب أنها ضمت أربعة من واضعي سلاسل كتب قواعد اللغة العربية للصفوف الدراسية بوزارة المعارف بالشكل القديم وهم: طه حسين وأحمد أمين وعلي الجارم وإبراهيم مصطفى صاحب الدراسة التي نحن بصددها فلمَ لمْ يرفضوا

الاستمرار في هذه السلاسل وإعادة تطويرها؟ ولو فرضنا أن بهي الدين بركات ترك الوزارة قبل اعتماد هذه الخطة فلما لم تعرض على خليفته في الوزارة محمد حسين هيكل وهو رجل ليبرالي معروف؟ لا نعرف لهذه الأسئلة إجابة. لكن يقودنا إلى سؤال هامشي لماذا لا نتقدم في بلادنا؟

لأنّ خططنا دائماً رهنٌ بالمسؤولين فإذا تغير المسؤول انتهت خططه وجيء بأخرى وربما لأن أصحاب الخطط الإصلاحية أنفسهم يتكلمون كثيراً ولا يفعلون إلا القليل وقد لا يملكون الشجاعة في كثير من الأحيان للتحرك وفق قناعاتهم والتمرد على الواقع وإعادة صياغته فيتركونها للمستقبل ودعاته.

وهو ما حدث بالفعل ففي مؤتمر مفتشي اللغة العربية بالمرحلة الإعدادية بمدرسة الفسطاط الثانوية بمصر القديمة عام **1957** تم تبني التوصيات القديمة بتطوير النحو ولأول مرة تتنفس هذه التوصيات الصعداء وترى النور في المناهج الدراسية مع الوحدة بين مصر وسوريا عام **1958** حيث استبدلت المصطلحات النحوية المبتدأ و نائب الفاعل والفاعل بالمسند إليه وأخذ مصطلح المسند مكان الفعل والخبر لكن مع الانفصال عادت المصطلحات القديمة.

وفي السبعينات والثمانينات من القرن الماضي عادت المحاولات مجدداً ولكن دون نتائج وربما يأتي يوماً يشق النحو فيها طريقه للتطوير الفعال.



المراجع والمصادر[1]

أرشيد يوسف أبو أرشيد، الحضارة الإسلامية "نظم، علوم، فنون،" دار العبيكان للنشر والتوزيع، ط**1**، الرياض، **1424** هـ.

حسن الأمراني، الإسلامية في الشعر المعاصر بالمغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ندوة جوانب من الأدب في المغرب الأقصى، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم **8**، جدة- المغرب ، **1984**م، ص. **143-144.**

حلمي محمد القاعود، أعلام في الظل، رجال نبلاء، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، **2020**م.

حلمي محمد القاعود، الواقعية الإسلامية، في روايات نجيب الكيلاني، دراسة نقدية، رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ط**1**، **2005** م.

شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، ط**1**، مصر،**1960**م.

عبد الحميد إبراهيم، صحيفة الجزيرة السعودية، العدد **10458** بتاريخ **23**صفر **1422** هـ.

[1] المصادر المستخدمة في قسم " نحو أدب عربي إسلامي "

عبد الحميد إبراهيم، نقاد الحداثة وموت القارئ، مطبوعات نادي القصيم الأدبي، **1415** هـ، ص **5.**

عبد الحميد إبراهيم، الوسطية العربية مذهب وتطبيق، الكتاب الرابع، نحو رواية عربية، دار المعارف، مصر، **1991** م، ص**405-406 .**

عبد الحميد إبراهيم، الوسطية العربية مذهب وتطبيق، ج **1**، دار المعارف\ ط **3**، مصر،**1990** م.

عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ،**2001** م.

عبد القدوس أبو صالح، الأدب الإسلامي مسيرة وتاريخ، تعريف برابطة الادب الاسلامي العالمية، ط**1**، **1989**م.

محمود أمين العالم، الفلسفة العربية المعاصرة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط**1**، بيروت، **1988**م، ص **77-99.**

نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي، كتاب الأمة، العدد **14**، ط **1**، قطر، **1987**م، ص **57**

.....



المراجع والمصادر[2]

1-الويكبيديا العربية

2-إعداد مجلة الرسالة ويكي مصدر

3-شبكة الألوكة

4-مواقع البي بي سي وروسيا اليوم

5- كتاب أيام لها تاريخ لأحمد بهاء الدين

6-حريم في حياة الزعيم سعد زغلول لأشرف مصطفى توفيق

7- الملكة نازلي بين سجن الحريم وكرسي العرش لحنفي المحلاوي

8-كتاب مصر الحديثة للورد كرومر تقديم: أحمد زكريا الشلق عن المركز القومي للترجمة.

9-مذكرات هدى شعراوي مؤسسة هنداوي

10-مذكراتي لإسماعيل صدقي باشا مؤسسة هنداوي

11-كتاب طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد لعبد الرحمن الكواكبي

[2] المراجع المستخدمة في باقي الفصول



12-كتاب أم القرى لعبد الرحمن الكواكبي

13-كتاب أحياء النحو لإبراهيم مصطفى مؤسسة هنداوي

14-مجلة "ساينتفك أمريكان

15-من أسرار الساسة والسياسة لمحمد التابعي

16-الكتاب الممنوع لمصطفى امين

17-مذكراتي في نصف قرن لأحمد شفيق باشا

18-رسائل الشيخ علي يوسف وصفية السادات لحلمي نمنم.

19-الكتاب التاريخي التذكاري عن حياة الدكتور محجوب ثابت مطبعة جامعة فؤاد الأول 1946.

****



السيرة الذاتية للكاتب

محمد فتحي عبد العال

كاتب وباحث مصري

بكالوريوس صيدلة -جامعة الزقازيق**2004**

دبلوم الدراسات العليا في الميكروبيولوجي التطبيقية- جامعة الزقازيق**2006**

ماجستير في الكيمياء الحيوية-جامعة الزقازيق**2014**

دبلوم إدارة الجودة الشاملة -أكاديمية السادات للعلوم الإدارية **2015**

دبلوم الدراسات العليا في الدراسات الإسلامية - المعهد العالي للدراسات الإسلامية **2016**

شهادة معهد إعداد الدعاة-المركز الثقافي الإسلامي- وزارة الأوقاف **2017**

شهادة البرنامج التدريبي لأكاديمية زاد الإسلامية "أون لاين **2019**"

العديد من الكورسات والدورات التدريبية في مجال الإحصاء من أكاديمية سايلور "أون لاين**2019**" ومن كلية العلوم جامعة الزقازيق والمعلوماتية الحيوية من جامعة بكين "كورسيرا أون لاين **2019**"

العديد من الكورسات والدورات التدريبية في مجال الجودة الطبية منها شهادة تخصص سلامة المرضى من جامعة جون هوبكينز "كورسيرا أون لاين**2018**" ومن جامعة ستانفورد أون لاين **2019** وشهادة تخصص في تطوير الأداء ستة سيجما الحزام الاخضر جامعة جورجيا "كورسيرا أون لاين **2018**"

العديد من الدورات في مجال الأدارة ومنها الدورة التأسيسية لإعداد القيادات التنفيذية والإدارية والنقابية –وزارة الشباب بالتعاون مع لجنة التعليم بنادي الصيادلة ونقابة صيادلة الشرقية **2015**

دورات في تدريب المدربين من مركز سيسكو **2017** ومن مركز التنمية الثقافية والتكنولوجية بمحافظة الشرقية **2017** و **TeamSTEPPS Master Trainer 2018**

عضو باللجنة التدريبية بمجلس الاعتماد الدولي للدراسات والأبحاث الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية

الدكتوراه الفخرية من أكاديمية السلام بألمانيا **2018**

تكريم كصيدلي مثالي من نقابة صيادلة الشرقية ودرع نقابة صيادلة الشرقية**2015**

تكريم كصيدلي متميز من نقابة صيادلة الشرقية والهيئة العامة للتأمين الصحي فرع الشرقية ودرع نقابة صيادلة مصر **2016**

تكريم كصيدلي مثالي من الهيئة العامة للتأمين الصحي فرع الشرقية **2016**

شهادة شكر وتقدير من مجلة مبدعون ووكالة مرآة الحياة العراقية **2018** ومن المركز العراقي للأدباء والفنانين الشباب وجريدة طريق القوم بالعراق **2019** ومن صحيفة صدي المستقبل بليبيا **2019.**

شهادة تقديرية من مبادرة الباحثون العراقيون **2018**

درع الإبداع والتميز وشهادة تقدير من مجلة آمارجي الادبية العراقية **2018**

صيدلي ورئيس قسم الجودة ومدير المكتب الفني بالهيئة العامة للتأمين الصحي فرع الشرقية سابقاً

صيدلي بمستشفي المواساة الدمام-الجبيل الصناعية سابقاً

مدير الصيدلية الداخلية ومسؤول سلامة المرضى وإدارة المخاطر ومؤشرات الأداء بمستشفي الفلاح الدولي بالرياض سابقاً

مستشار طبي بشركتي **CAT** و**237 COMMUNICATIONS JLT** بمصر والسعودية والإمارات سابقاً



كاتب وباحث ثقافي بالعديد من الصحف العربية والبوابات الإلكتروبية في مجالات الطب والعلوم والتاريخ والحضارات الإنسانية والدراسات الدينية ومن الصحف الورقية التي أنشر بها مقسمة حسب بلدانها:

الجزائر: صحيفة صوت الأحرار الجزائرية "صفحة أسبوعية ثابتة تحت عنوان مساحة رأي"

صحيفة الحوار الجزائرية-صحيفة الجديد الجزائرية-صحيفة الجمهورية الجزائرية – صحيفة كواليس الجزائرية.

مصر: صحيفة الأهرام -صحيفة العروبة-صحيفة الزمان-صحيفة أخبار الأدب-صحيفة الرأي

العراق: صحيفة الزوراء العراقية -مجلة أمارجي الأدبية العراقية- صحيفة النهار العراقية-صحيفة البينة العراقية الجديدة-صحيفة جدار العراقية-صحيفة الكلمة الحرة العراقية -صحيفة ثقافية كل الأخبار العراقية -مجلة مبدعون العراقية -صحيفة سيروان الكردية.

السودان: صحيفة آخر لحظة السودانية.

ليبيا: صحيفة صدى المستقبل الليبية – صحيفة فسانيا الليبية.

حول العالم: صحيفة صوت بلادي بالولايات المتحدة الأمريكية "مقال طبي شهري" – صحيفة أيام كندية "مقال ثقافي شهري".

البوابات الإلكترونية مثل: الجمهورية أون لاين- موقع الدستور الإلكتروني "امان" – موقع هافينغتون بوست الامريكي -عربي بوست-ساسة بوست –

بوابتي تونس-راديو صوت بيروت الدولي -راديو صوت القلم الجزائري - فينيق-بقجة -صحيفة المثقف الإلكترونية-فوكس نيوز مصر -الراكوبة - سودانيز أون لاين -صحيفة الفكر الكردية الإلكترونية-صحيفة الحدث الإلكترونية من لندن -صحيفة الفيصل من باريس-صحيفة المنار العراقية الإلكترونية-بوابة الحضارات التابعة لمؤسسة الأهرام.

الجوائز الحاصل عليها: شهادة تكريم من اتحاد الصيادلة العرب وشعبة المبدعين العرب عن كتابي تأملات بين العلم والدين والحضارة معرض القاهرة الدولي **2020**

شهادة تكريم للحصول على المركز الأول في فرع الدراسات من مؤسسة النيل والفرات للطبع والنشر والتوزيع عن كتابي جائحة العصر **2020**

تكريم كصيدلي مثالي من الهيئة العامة للتأمين الصحي فرع الشرقية **2016**

تكريم كصيدلي مثالي من نقابة صيادلة الشرقية **2015** ودرع النقابة.

تكريم بدرع الإبداع من مجلة أمارجي الادبية العراقية **2018**.

****



محتويات الكتاب

تم بحمد الله

على هامش التاريخ والأدب

دراسة أدبية تحليلية

د. محمد فتحي عبدالعال



الطبعة الأولى
1442 هـ 2021 م
دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
مصر – بورسعيد

جوال: 00201211132879

E-mail: mohamedhamdy217217@gmail.com